جوانب من الحركة الفكرية في عصر الدويلات المستقلة بإقليم المشرق (خراسان وبلاد ما وراء النهر) بين القرنين الثالث و السادس الهجريين (*)

أ. د. نجيب بن خيرة

أستاذ بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية الاجتماعية

جامعة الشارقة

الملخص

صراع كل دولة من أجل مذهبها وعقيدتها هو الحفاظ على الهوية الثقافية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة، وهو بهذا يعني حماية وتحصين الهوية الثقافية من الاختراق أو الاحتواء من الخارج، جنبا إلى جنب، مع الحفاظ على العقل وصيانة المؤسسات الثقافية في الداخل من الانحراف، وإذا قلنا : إقليم المشرق فإننا نعني به الأقاليم التي تقع شرق مركز الخلافة العباسية، ونخص بالذكر هنا إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر والذي تعاقبت على هذين الإقليمين بين القرنين الثالث والسادس الهجريين دويلات مستقلة بدءا من الدولة الطاهرية.(٢٠٥ هـ . ٢٥٩هـ)، والدولة الصفارية ٢٥٤هـ . ٣٠٠هـ)، والدولة السامانية ٢٦١هـ . ٣٨٩هـ)، و الدولة الغزنوية (٣٥١هـ .٤٣٢هـ). والدولة السلجوقية (٤٢٩هـ –٥٤٨هـ) والحركة الفكرية في ظل السلطة السياسية على اختلاف الدويلات التي حكمت في إقليم المشرق واجهت تحديات مذهبية وعقدية جعلتها تقف موقفا حازما على المستوى الرسمي، كما أنها شجعت اهل الفقه و النظر و الكلام على الموقف العلمائي الحازم الذي واجه الأفكار المنحرفة بفكر يحفظ الوحدة المذهبية والعقدية للأمة في خراسان وما وراء النهر

الكلمات المفتاحية : الحركة الفكرية – الصراع المذهبي والعقدي – خراسان بلاد ما وراء النهر –– الدويلات المستقلة – إقليم المشرق.

(*)**مجلة المؤرخ المصرى، عدد يناير ٢٠٢٥، العدد السادس والستون.**

Abstract :

Every country's struggle for its doctrine and belief is to preserve cultural identity in the face of suspicious incoming or foreign cultural trends, and by this it means protecting and fortifying cultural identity from penetration or containment from the outside, along with preserving the mind and preserving cultural institutions at home from deviation, and if we say: territory By the East, we mean the regions that lie east of the center of the Abbasid Caliphate, and we specifically mention here the region of Khorasan and Transoxiana, which between the third and sixth centuries AH succeeded these two regions as independent states, starting with the Tahirid state (205 AH - 259 AH), and the Saffarid state. 254 AH - 300 AH), the Samanid state 261 AH - 389 AH), the Ghaznavid state (351 AH - 432 AH), and the Seljuk state (429 AH - 548 AH).

Intellectual movement under The political authority, regardless of the various mini-states that ruled in the Levant region, faced sectarian and doctrinal challenges that made it take a firm stance at the official level. It also encouraged the people of jurisprudence, theory, and theology to adopt a firm scholarly position that confronted deviant ideas with thought that preserved the sectarian and doctrinal unity of the nation in Khorasan. And Transoxiana.

key words:

Intellectual movement - sectarian and doctrinal conflict - Khorasan - Transoxiana - independent states - Levant region.

تمهيد :

لم يكن إقليم المشرق بكل أرجائه أطرافا معزولة عن بقية العالم الاسلامية مشرقا ومغربا، بل إن جميع الأحداث و الوقائع مما كانت تعج به مركز الخلافة العباسية في العراق أو في بلاد الشام أو في مصر وبلاد الغرب الاسلامي كان حاضرا في إقليم المشرق وبخاصة في خراسان وما وراء النهر،

حيث تعاقبت دول إسلامية استقلت عن مركز الخلافة طوعا أو كرها.

وقد أسهبت كثير من المصادر التاريخية في سرد الأحداث السياسية وما نتج عنها من تقلبات الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية، ولكنها أحجمت عن ذكر تفاصيل الصراعات المذهبية و العقدية في هذه الأقاليم، والتي ساهمت بلا شك في تقدم أو تأخر المنحنى الحضاري على مرّ التاريخ الاسلامي، ومن هذا المنطلق كان اختياري لهذه الورقة البحثية التي تتناول جانبا من الحركة الفكرية خلال القرنين الثالث و السادس الهجري " وهي فترة قيام الدويلات المستقلة في إقليم خراسان وما وراء النهر.

ولئن أفردت كثير من مصادر الحديث عن المذاهب الفقهية و الفرق العقدية إلا أنها لم تخص إقليما دون آخر، وتورد المقارنة بين انتشار أفكار هذه المذاهب و العقائد في هذا الإقليم ولم تنتشر في غيره، بل وردت المادة التاريخية متناثرة في المصادر التاريخية والتراجم وكتب الفرق مما يجعل الموضوع جديرا بالتناول، وجمع شتاته من أطرافه، وإبراز دور السلطة السياسية والسلطة الفكرية في المجتمع على صيانة المجتمع من الفكر الدخيل، والعقائد الفاسدة،والتي تحمل في طياتها مشروعا لتشكيك الأمة في دينها، والانحراف بها عن هدايات الوحي الأعلى، وهدي الصراط المستقيم.

ولعل بعض الدراسات تناولت قريبا من هذا الموضوع وعالجت بعض جوانبه، ويمكن أن نشير هنا إلى كتاب : " الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الاسلامي" للكاتب إيهاب نبيل رفاعي، وكتاب " الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري " للكاتبة منيرة ناجي سالم، وكتاب" الحركة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي و الخوارزمي " للكاتب محمد سعد السيد أحمد عزب، ورسالة الماجستير الموسومة بـ :". الحركة العلمية في نيسابور من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري. " للباحثة أديل، وهبي جامعة اليرموك، قسم التاريخ، ١٩٩٨م، مما أفاد منه هذا البحث من قريب أو من بعيد.

١. إقليم المشرق في ظل الدويلات المستقلة

عندما نتحدث عن إقليم المشرق فإننا نعني به الأقاليم التي تقع شرق مركز الخلافة العباسية، ونخص بالذكر هنا إقليم خراسان[١] وبلاد ما وراء النهر[٢] والذي تعاقبت على هذين الإقليمين بين القرنين الثالث و السادس الهجريين دويلات مستقلة بدءا من الدولة الطاهرية. (٢٠٥ هـ / ٢٥٩هـ)، والدولة الصفارية ٢٥٤هـ / ٣٠٠هـ)، والدولة السامانية ٢٦١هـ / ٣٨٩هـ)، والدولة الغزنوية (٣٥١هـ / ٤٣٢هـ). والدولة السلجوقية (٤٢٩هـ /٥٤٨هـ)

وخراسان تحت حكم الطاهريين مثّلت ظهيرا قويا للخلافة العباسية في بغداد، حيث تصدى الطاهريون للجماعات المنشقة والمعارضة للعباسيين، وفي مقدمتهم الخوارج، الذين اتسع نشاطهم ومنهم طائفة الحمزية (نسبة إلى زعيمهم حمزة بن أترك السجستاني)، كما قام الطاهريون بمواجهة مع العلويين ومن أبرزهم ثورة محمد بن القاسم العلوي سنة (٢١٩هـ/ ٨٣٤م) .، وثورة الحسن بن زيد في طبرستان.كما رفع الطاهريون من خراسان راية الجهاد في بلاد تركستان بالتعاون مع جيوش الخلافة، وتم لهم فتح إقليم اشروسنة في بلاد ما وراء النهر في مستهل ولاية طلحة بن طاهر سنة(٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) [٣].

وقد أدى الطاهريون دورهم أحسن أداء في حماية الأقاليم الشرقية بما فيها بلاد ما وراء النهر، وصارت مدن بخارى وسمرقند وفرغانة في عهدهم ثغورا إسلامية تعيش في حمايتهم ن وذلك مما دعا الخلفاء العباسيين إلى التمسك بهم طوال أكثر من خمسين عاما [٤].

ولكن مع ضعف الخلافة العباسية وتزايد نفوذ الأتراك لم تستطع الدولة الطاهرية أن تصمد في وجه الصفاريين، حيث احتل كرمان سنة (٢٥٥هـ/٨٦٩م)، وتقدم نحو نيسابور عاصمة الطاهريين سنة (٢٥٩هـ /٨٧٣م) فاستولى عليها ولم يستطع جند الخلافة أن يواجهه إلا أنهم تمكنوا من تخليص آخر أمرائهم محمد بن طاهر من أسر الصفار سنة ٢٦٢هـ و أبقت في أيدي بني طاهر منصب الشرطة في بغداد بعد سقوط دولتهم في خراسان.

لم تكن الخلافة العباسية على وفاق مع الصفاريين لما أظهروه من الرغبة في إخضاع الخلافة لسلطانهم ونفوذهم، وبعد قضائها على ثورة الزنج ألحقت بهم عدة هزائم، واتبعت معهم بعد ذلك سياسة المناورة،حتى استعانت بالقوة الجديدة التي ظهرت في بلاد ما وراء النهر وهي قوة السامانيين [٥].

في ظل شبه الاستقلال عن الخلافة العباسية استطاع السامانيون أن يثبتوا ولاءهم للخلافة العباسية بالرغم مما تمر به من ضعف، وأن عموم الشعب مرتبط بها روحيا، مما جعل السامانيين يكملون المهمة التي بدأها الطاهريون في حفظ الثغور ومقارعة العدو المتربص على الحدود الشرقية للخلافة العباسية.

ومن رحم الدولة السامانية خرجت أسرة سبكتكين التي وطدت أركان الدولة الغزنوية في خراسان واتخذوال من غزنة عاصمة لملكهم، وجعلوها منطلقا لفتوحاتهم في بلاد الهند، وصد أطماع القراخانيين في بخارى وبلاد ما وراء النهر، وبعد سبكتكين تولى ابنه محمود الحكم (٣٨٧هـ -٤٢١هـ / ٩٩٨-١٠٣٠م) الذي استطاع أن يوثق علاقاته مع الخلافة العباسية ويظهر حرصه على حماية إقليم المشرق، ونشر الإسلام وصون مكتساباته الحضارية، حتى منحه الخليفة القادر بالله لقب (أمين الملة ويمين الدولة)[٦]، لما بذله من جهود في خدمة الحلف القوي للمذهب السني في إقليم المشرق، ومحاربة الفرق المنحرفة كالاسماعيلية الباطنية والراوندية القرامطة و الروافض...وغيرهم. كما عمل السلطان محمود على تثبيت المفاهيم الدينية الصحيحة في معظم المناطق التي خضعت لسيطرته وذلك من خلال بناء المساجد، ونشر الوعي الديني، وجلب العلماء و الفقهاء لدعوة غير المسلمين في أرجاء الهند وخراسان وما وراء النهر[٧].وقد وصلت الدولة الغزنوية إلى أوج قوتها في عهد السلطان مسعود الأولبن محمود (٤٢١هـ -٤٣٣هـ / ١٠٣٠- ١٠٤١م)، ثم بدأت في الانحسار نتيجة دخولها في صراع مع السلاجقة حتى فقدت معظم ممتلكاتها.

ولتوطيد السلاجقة ملكهم في خراسان وما وراء النهر سعوا للحصول على

الشرعية من الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ /١٠٣٠-١٠٧٤م) ونجحوا في ذلك وأرسل الخليفة إلى طغرلبك الخلعة وكتاب التفويض بحكم تلك الأقاليم [٨]. وفي عصر السلطان ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م) ملك مالم يملكه أحد من ملوك الإسلام، فقد دانت له جميع أقاليم خراسان وما وراء النهر. وفي سنة ٤٧٠هـ /١٠٧٧م) استقلّ والي إقليم خوارزم به، ولكن ملكشاه أجبره على الدخول في طاعته، وجعل على خوارزم محمد بن نوشتكين (ت٥٢٢هـ/١١٢٨م) وكان دينا، فاضلا، كثير التلاوة و الغزو، حكم خوارزم ثلاثين سنة[٩].

وبعد وفاة السلطان ملكشاه حكم ابنه سنجر (٤٩٨-٥٥٢هـ /١١٠٥-١١٥٧م) سائر أرجاء المشرق الاسلامي ولقب بسلطان السلاجقة الأعظم، وضربت له السكة في جميع الأقاليم ومدنها. وفي سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م) سار السلطان سنجر إلى خوارزم وكان عليها آتسز الذي بلغه أنه يريد الاستقلال بخوارزم، فقاتله وهزمه وفي سنة(٥٣٥هـ /١١٤٠م) أرسل آتسز إليه رسالة يقسم له فيها أنه باق على الطاعة. ولكنه تعاون في ما بعد مع كورخان الخطائي . صاحب دولة الخطا في ما وراء النهر . على هزيمة سنجر، وتم أسره بعد ذلك في واقعة سنة (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) من قبل الغز التركمان، وفي سنة ٥٥١هـ-١١٥٦م) هرب سنجر من الأسر، وفي سنة(٥٥٢هـ /١١٥٧م) توفي السلطان سنجر وزال بموته سلطان آل سلجوق على خراسان، واستولى على أكثر مملكته خوارزم شاه آتسز بن محمد بن نوشتكين [١٠]. وبدأ عصر الدولة الخوارزمية في إقليم المشرق.

٢. السلطة السياسية و التحديات المذهبية و العقدية في إقليم المشرق:

عرف إقليم المشرق حضور مجمل المذاهب الفقهية والعقدية التي انتشرت في العالم الاسلامي، وبقيام الخلافة العباسية تم إعلان المذهب السني كمذهب رسمي للدولة. وانقسم المذهب السني بين الأشاعرة الذين ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ /٨٧٣-٩٣٥م) والماتريدية الذين ينتسبون

لأبي منصور بن محمد الماتريدي (ت٣٣٣هـ /٩٤٤م)، أما مذهب التشيع فقد انتشر بشكل كبير مع قيام الثورة العباسية في إقليم المشرق لبعده عن مركز الخلافة، وملاءمة أصحابه للثورة و التمرد على الحكم القائم في المركز.ولعل فرقة الزيدية أتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي خرج في أيام الخليفة هشام بن عبد الملك عام (١٢٢هـ /٧٣٩م) وبدأت ثورتهم في خراسان على يد محمد بن القاسم العلوي في زمن المعتصم (عام ٢١٨هـ /٨٣٣م) إلى أن قضى عليه أمير خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين (٢١٣-٢٣٠هـ /٨٢٨-٨٤٤م) وتم مقتله بالطالقان[١١].

وبالرغم من أن الزيدية شيعة إلا أن تقاربا كان بينهم وبين المذهب الحنفي السني حيث لا يقتصر الاجتهاد عندهم على الإمام، ولهم اتفاقات مع الحنفية في باب المعاملات، وأخذهم بحكم العقل في ما لانص فيه، مما جعل المذهبان يتلاقيان في وما وراء النهر ويأخذ كل منهما عن الآخر [١٢].

أما الشيعة الإسماعيلية القائلين بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بالنص، وما يعتقدونه من التفسير الباطني للقرآن الكريم، وما تبنوه من مبادئ الفلسفة اليونانية والمذاهب الغنوصية والديصانية والنحل الشرقية ومزجوا بها آراءهم حول الوجود و الألوهية، وربطوا كل ذلك بنظرية الإمامة عندهم.وقد انبثقت عن هذه الفرقة فرقة القرامطة و الحشاشين. الذين انتشروا في خراسان وما وراء النهر على يد إمام من أشهر أئمتهم وهو " ميمون القدا "، حيث كان يدعو لأرائه متخفيا وهو يمارس مهنة قداحة العيون ودعاته يجوبون خراسان والري وطبرستان وما وراء النهر لنشر مذهبه، وذلك بإيعاز من الإمام عبيد الله المهدي" ودعاته من أمثال أبي حاتم الرازي (٣٢٢هـ /٩٣٣م)، والداعي النسفي (٣٣١هـ /٩٤٢م)، والداعي أبو يعقوب السجزي (٣٣١هـ /٩٤٢م)، كما قام قائد الجيش الساماني الداعي الحسين بن علي المروروذي بالتمرد على أميره نصر بن أحمد الساماني واعتنق المذهب الإسماعيلي ودعا إليه وضم سيستان وهرات ونيسابور، مما جعل كثيرا من بسطاء خراسان قد أقبلوا على إجابة دعوته

بهدف التخلص من الوضع الاجتماعي والاقتصادي السيء في تلك الأقاليم [١٣].

ولعل أبرز الفرق العقدية التي شكلت تحديا كبيرا في خراسان وما وراء النهر هي فرقة الكرامية أصحاب محمد بن كرام السجزي النيسابوري (ت ٢٥٥هـ /٨٦٩م) وهم يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان[١٤]..وهم يثبتون الصفات للذات الإلهية على نحو يجعلهم " مشبهة ومجسمة "..[١٥]

وقد انتشر فكر هذه الفرقة بين العوام والفلاحين من البسطاء، وكان لهم خوانق كثيرة في خراسان وما وراء النهر يجتمع فيها الزهاد و المتصوفة، ويتضح أنهم كغيرهم من الفرق التي قامت بدافع اجتماعي انجذبت إليها الفرق المسحوقة التي تبحث عن العدالة الاجتماعية إلا أنها اتخذت من الأفكار المنحرفة سلاحا لمقاومة السلطة و الشغب عليها.

وفي ظل حكم الطاهريين كان المذهب السني الحنفي مذهبا رسميا للدولة، مع وجود الشيعة و الخوارج وقيامهما بنشاط قوي في إقليم المشرق إبان فترة حكم الطاهريين و الصفاريين، ومساندة الخلافة العباسية للطاهريين للقضاء على ثورات الشيعة و الخوارج إلا أن قمعهم للخوارج كان أشد من الشيعة الذين اتخذوا من بيهق مركزا للدعاية لمذهبهم في عهد الطاهريين [١٦].

أما في عهد الصفاريين فقد ازداد نشاط الفرقة الإسماعيلية في خراسان وحاولت السلطة العباسية قمعه، ووصفت يعقوب الصفار بالملحد، ويظهر ذلك بشدة في خطاب الخليفة المعتمد ليعقوب قائلا له :" ما أرى يعقوب بن الليث إلا قد شق عصا الطاعة، فهو يسعى إلينا بالخيانة لأننا لم نأمره أن يقبل علينا، وأحسب أنه قد دخل في بيعة الباطنية " [١٧].

أما السامانيون فقد واجهوا بحزم أمر الدعوة الإسماعيلية الباطنية التي

استمرت بعد الحسين بن علي المروروذي تحت قيادة محمد بن أحمد النخشبي الذي يعد من أكبر فلاسفة الدعوة ومتكلميها، وقد استطاع ان يضم من أهالي خراسان الكثير إلى الدعوة الإسماعيلية،بل دخل في دعوته" أبا بكر بأشعث " الكاتب الخاص للأمير الساماني. و"إيتاش" الحاجب الخاص،وقالوا لمحمد النخشبي لا حاجة لك بالمقام في نخشب (إحدى مدن ما وراء النهر)فانهض إلى الحضرة ببخارى، أما نحن فتبلغ بأمرك السماكين في زمن يسير وندخل الوجوه في هذا المذهب [١٨].

أما الفرع الأخطر من الإسماعيلية وهم القرامطة، الذين يدعون إلى إمامة "محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق " وكانوا يعتقدون أن " الأنبياء كنوح وموسى وعيسى ومحمد اصحاب نواميس ومخاريق، أحبوا الزعامة على العامة فخدعوهم واستعبدوهم بشرائعهم " وأن الشرائع منسوخة بشريعة القائم المهمدي سابع الأئمة النطقاء، وأن جميع ما فرض الله على العباد وسائر ما سن الرسول لهم لها ظاهر وباطن وغيرها من الاعتقادات المنحرفة الضالة [١٩].

أما الغزنويون فهم كغيرهم من الطاهريين و السامانيين اتخذوا من المذهب السني مذهبا رسميا للدولة، ولاسيما أن المذهب الحنفي هو الغالب في خراسان وما وراء النهر، كما أظهروا ولاءهم للخلافة العباسية وقد تجلى ذلك في نصرة السلطان محمود الغزنوي للخليفة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ /٩٩١-١٠٣٠م) حين استتابه فقهاء المعتزلة، فقبض عليهم وعلى الاسماعيلية و القرامطة وحبسهم ونفاهم[٢٠].

كما واجه السلطان محمود الغزنوي الشيعة الزيدية حيث استولى على أملاك البويهيين، وواجه بكل حزم أصحاب الفلسفة، والمغالين في الكلام، ومن بهم تهمة الاعتزال متمما سياسته في تعقب القرامطة، وممن تعقبهم إلى أن قتلهم " عبد الصمد الحكيم " أستاذ البيروني، واتهمه بالقرمطة، لأنه كان صاحب فلسفة كفره بها الفقهاء وعدوه من الضُلال[٢١].

وفي عام(٤٢٠هـ /١٠٢٩م) كتب السلطان محمود إلى الخليفة القادر

بالله بعدما هجم على الري وقتل وصلب من وجده من الباطنية فيها وقال له:" وقد أزال الله عن هذه البقعة أيدي الظلمة، وطهرها من أيدي الباطنية الكفرة. وقد تناهت إلى الحضرة حقيقة الحال فيما قصر العبد عليه سعيه واجتهاده عزو أهل الكفر والضلال، وقمع من نبغ بخراسان من الفئة الباطنية. وكانت الري مخصوصة بالتجائهم إليها، وإعلانهم بالدعاء إلى كفرهم فيها، يختلطون بالمعتزلة والرافضة، ويتجاهرون بشتم الصحابة، ويسرون الكفر ومذهب الإباحة. وكان زعيمهم رستم بن علي الديلمي" [٢٢]

بل إن السلطة الغزنوية لم تتسامح حتى مع الكرامية بالرغم من المكانة السياسية والاجتماعية التي اكتسبوها، وهذا القاضي " أبي العلا صاعد " الحنفي حين شرح للسلطان محمود ما يزعم الكراميون في حق الله سبحانه وتعالى وما يعتقدونه في المعبود من أنه جسم له حد ونهاية من تحته الجهة التي منها يلاقي عرشه، فأمر السبطان محمود بإحضار أبو بكر محمد الكرامي لمحاكمته في غزنة، وكلف القاضي الحنفي أبا محمد عبد الله الناصحي استجوابه حول هذه الإدعاءات. وغضب السلطان لما سمعه من آراء الكرامية،فأصدر أمرا للوالي ورؤساء المجالس العلمية في خراسان بأن يطهروا المدارس من أفكار الكرامية، وأمر بعزل ابي بكر محمد من رئاسة المدينة، وأن يتولى رئاستها " ابو علي حسن بن محمد الميكالي، الذي اتخذ ضد الكرامية أشد العقوبات، فعزل وحدد إقامة إمام الكرامية " ابو بكر محمد محمشاذ "[٢٣] في مدينة نيسابور [٢٤].

وفي سنة (٤٢٠هـ /١٠٢٩م) توجه السلطان محمود إلى مدينة" الري" التي كانت مركزا للمذاهب المناوئة لمذهب أهل السنة والتي من أهمها مذاهب غلاة الشيعة و المعتزلة وغيرهم، وصلب أصحاب مجد الدولة من الباطنية، ونفى كثيرا من المعتزلة وأحرق ما وجده من كتب الفلسفة والاعتزال و النجوم ، ونقل ما دون ذلك إلى غزنة، وأرسل إلى الخليفة " القادر بالله " رسالة طويلة بيّن فيها أسباب فتحه "الري "مؤكدا له أن هذا كان دفاعا عن مذهب أهل السنة و الجماعة . [٢٥]

وبعد صراعات متكررة بين الغزنويين و السلاجقة استطاع السلاجقة السيطرة على خراسان وهزيمة الغزنويين في معركة دندانقان بقيادة مسعود بن محمود بن سبكتكين سنة (٤٣١هـ /١٠٤٠م) أمام طغرلبك وأخيه جغريبك[٢٦]. مما سمح بقيام إمبراطورية جديدة.، وساعدهم على توطيدها انتماؤهم لمذهب الخلافة العباسية وولاءهم لها وتبعيتهم إليها.

و الحق أن التعصب المذهبي و العقدي لم يسلم منه السلاجقة حيث أنهم تعصبوا للمذهب الحنفي وناصبوا العداء للمذهب الشافعي و الأشعري واضطهدوهم،وخاصة في زمن الوزير عميد الملك الكندري وسلطانه طغرلبك.

. ويرى بارتولد أن سبب الاضطهاد ربما يرجع إلى استعمال الشافعية علم الكلام للرد على الروافض و الباطنية، وذلك بالحجج العقلية التي لا تخلوا من التأثر بالفلسفة اليونانية وهذا في نظر السلاجقة من قبيل البدعة في الدين و المخالفة لمذهب السلف [٢٧].

وحتى ينتصر السلاجقة للمذهب الحنفي الرسمي لدولتهم فقد شجعوا على المناظرات العلمية والتي تدور موضوعاتها حول المسائل العقدية، والغرض منها الرد على المذاهب الباطنية المنتشرة في أقاليم دولتهم. إلا أنه يعد مجيء السلطان عضد الدولة ألب أرسلان (٤٥٥-٤٨٥هـ /١٠٦٣-١٠٩٢م) استوزر "نظام الملك "، وكان جليل القدر مع الديانة والكفاية والأمانة والعدل والصيانة[٢٨]، وانتصر للشافعية وبنى ما يسمى بالمدارس النظامية عام ٤٥٥هـ /١٠٦٣م).وفعلا كان المذهب الشافعي من اللبنات التي أسست البناء الشامخ لأهل السنة، والحصن المنيع الذي تكسرت عند أسواره رماح الباطنية وأهل الأهواء والبدع. كما كان المذهب الأشعري درع أهل السنة في مواجهة شطط المتكلمين، وانحرافات المتفلسفة الذين رحّلوا قضايا الفلسفة اليونانية وتهويماتها إلى ساحات العقيدة الاسلامية الصافية.

وفي سنة (٥٩٠هـ / ١١٩٣م) قضى السلطان تكش على طغرل آخر سلاطين السلاجقة.واصطدم بجيش الخليفة الناصر لدين الله، وهزمه في

همذان، مما اضطر الخليفة العباسي إلى محالفة تكش، وأظهر هذا الأخير الطاعة و الخضوع للخليفة، وقد استطاع تكش السيطرة على بخارى ثم سار إلى الري وغيرها من البلاد في خرسان وما وراء النهر، مما جعل الخليفة يرسل إليه الخلع وإلى ولده علاء الدين محمد وقلده ما بيده من البلاد [٢٩].

ولكن جشع الخوارزميين وتخليهم عن واجبهم الثغري ورغبتهم في السيطرة على جميع أقاليم المشرق الاسلامي وانشغالهم بالصراعات السياسية و العسكرية مع الدول المعاصرة لهم كدولة الخطا الإيلخانيين والدولة الغورية وغيرها.أضعف قوتهم وفتح الطريق للمغول الهاجمين لاكتساح ممالكهم مما جعلهم يسقطون في عهد جلال الدين منكبرتي، وتنتهي دولة من أهم دول الشرق الاسلامي. سنة(٦٢٨هـ /١٢٣١م) [٣٠].

وخلال حكم الخوارزميين تمت رعاية المذهب الحنفي وبناء مدرسة في خوارزم لأصحابه، في عهد تكش خوارزم شاه (ت٥٩٦هـ /١١٩٩م) ولعل اهتمامهم بالعلوم العقلية للرد على المخالفين جعل السلطان علاء الدين محمد بن تكش (٥٩٦-٦١٧هـ /١١٩٩-١٢٢٠م) يقطع العالم الفيلسوف و المفسر فخر الدين الرازي(ت ٦٠٦هـ /) إقطاعا يدر عليه كل سنة ألف دينار. وكان علاء الدين خوارزمشاه يأتي إليه ويناظره في قضايا العقيدة وعلم الكلام[٣١].

ومن كل ما تقدم يمكن القول أن السلطة السياسية على اختلاف الدويلات التي حكمت في إقليم المشرق قد واجهت تحديات مذهبية وعقدية جعلتها تقف موقفا حازما على المستوى الرسمي، كما أنها شجعت اهل الفقه و النظر و الكلام على الموقف العلمائي الحازم الذي واجه الأفكار المنحرفة بفكر يحفظ الوحدة المذهبية و العقدية للأمة في خراسان وما وراء النهر.

٤. علماء الكلام والصراع العقدي في إقليم المشرق

ليس هناك دين نزل من السماء، أو اختلقه الناس في الأرض حَبَا العقل من التقدير والإعزاز ما حباه دين الإسلام. وقد أثبتت نصوص القرآن والسنة

عدم استيحاشها من العقل، كما أن علماء الإسلام لم يَضيقوا بمنطقه... ولم يكن الفضل لأي فرقة من فرق المسلمين في قيادة الحركة الفكرية الحرّة وحضّها على إعمال العقل في النصوص الشرعية النقلية.

"لأن فريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من وظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضًا مقتضبًا، بل يذكره مقصودًا مفصّلاً على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان"(٣٢).

ولما كان عصر الترجمة راجت سوق المنقولات الأجنبية، وأخذ العباسيون يشجعون على نقل علوم الأوائل من اليونان والسريان والفرس إلى لغة العرب، وأصبحت مواريث الأمم السابقة تزاحم وحي السماء. وكان شرًّا مستطيرًا على الثقافة الإسلامية، فاشتبكت عناصر المقاومة في الكيان الإسلامي مع العلل الوافدة، كما تشتبك الكرات البيضاء في الدم مع الجراثيم الهاجمة، ولا نزعم أن النجاة كانت كاملة.

واستقبلت نواحٍ دينية بعض هذا الغزو الأجنبي، وتأثرت به، وأصبحنا لا نفرق فيها بين الأصيل والدخيل!؛ لأن المزج بلغ أحيانًا درجة كبيرة من المهارة!

وقد سعت هذه العناصر الوافدة إلى تقويض مضمون الدين، وسعت إلى تحريفه أو جرّه إلى مضمون آخر معيّن؛ ليصبح مشابهًا له أو مطابقًا. والعقيدة الإسلامية قد واجهت من هذه التحديات الفكرية ما لم تواجهه أي عقيدة أخرى، وذلك سواء من حيث حدّة الاعتراضات وشمولها، أو من حيث تنوّع وتعدّد الأطراف والجهات المتحديّة. ولعل ذلك كله يرجع إلى أسباب متعددة منها:

سبب تاريخي: فقد ظهر الإسلام بعد كل الأديان السماوية، وبعد الكثير من مذاهب الهند وفارس، وهذا جعل أصحاب هذه المذاهب والأديان يرون فيه الخصم الفتي الذي تتوفر له حظوظ الغلبة، بما يفسد من معتقداتهم، ببثٍّ

معتقده السهل البسيط، ومن طبيعة الناس أن كل جديد تكون منه خشية، وخاصة إذا ما تعلّق بالعقائد والعادات، ولهذا فقد هبّ الجميع إلْبًا واحدا يقاومون هذه العقيدة الجديدة، ويوردون عليها الشُّبه والاعتراضات.

سبب ذاتي: فإن من أصول العقيدة الإسلامية أن هذا الدّين يُلغي كل مذهب، وكل دين، وهو شامل بالخطاب لكل البشر، فهو يدّعي أنّه هو الحق، وكل ما سواه ينبغي أن يزول... وهذا المعنى زاد الخصوم حدّة في الطعن على هذه العقيدة، وشراسة في السعي إلى تقويضها.

سبب سياسي: وقد حرص المسلمون كأشدّ ما يكون الحرص على بسط نفوذ دولتهم على كل البقاع التي فتحوها، مما أغلبهم على كثير من النُّظم القائمة ذات الحضارات العريقة، مما أبقى حقدًا دفينًا في صدور الكثير من أهل تلك النُّظم والحضارات، ولَمّا أدركوا أن غلبة المسلمين إنما تمت بقوّةٍ في ذات عقيدتهم، قصدوا إلى محاولة التشويه والنقض لهذه العقيدة بمختلف الأساليب.

سبب اجتماعي ثقافي: إن الذين دُعُوا إلى الإسلام واستجابوا له كانوا ينتمون إلى نِحَل ومِلَل مختلفة، والكثير منهم مع حسن نيتهم لم يستطيعوا التخلص من معتقداتهم القديمة، فأصبحوا بذلك يفسّرون الإسلام على ضوء رواسب مِلَلهم ونِحَلهم، وهذا مظهر من مظاهر المعارضة للعقيدة الجديدة، وإن تكن معارضة غير مصحوبة من أصحابها[٣٣].

نتيجة لهذه الأسباب تكاثرت الشُّبه والتحديات من قِبَل تيارات وجدت في الحرية التي كفلها الإسلام لأتباع الديانات الأخرى منفذًا لشنّ هجومها، وتنوّع أساليبها، متسلِّحة بالمنطق الأرسطي ضد عقائد الإسلام.

ولذلك فقد ارتبط الدفاع عن العقيدة الإسلامية والمحافظة على المفاهيم التي جاء بها الوحي، ونشرَها في البلاد التي فتحت، وخاصة ما كان منها ذا تراث حضاري ومواريث عقلية، ارتبطت هذه المهمة التاريخية بنشأة (علم الكلام) الذي كان استجابة لظروف التحدي التي أحدقت بعقيدة الإسلام، وكانت روح

الدفاع هي التي تسيطر عليه، وتسيّر مباحثه، وتضبط طرائقه، وترسم منهاجه. وهذا ما أثبته ابن خلدون في تعرفه لعلم الكلام بقوله : " هو العلم الذي يتضمّن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[٣٤].

وقد قوبل علم الكلام في أول أمره بموجة من الاستنكار الشديد، من قِبَل أهل الحديث والفقهاء والصوفية، وأطلقوا على علم الكلام وأهله أصحاب البدع، وراحوا ينشئون أقوالاً في ذمّ علم الكلام وأهله(٣٥).

والواقع أن الإسلام . شأنه شأن أي دين آخر . قد مرّ بمرحلتين:

مرحلة التصديق القلبي والإيمان بالعقائد والأصول، حتى يرسخ الدين في القلوب. ولم تكن العقيدة في هذه المرحلة المتقدمة بحاجة إلى المواجهة؛ لأنه لم يرد فيها تحدّ فكري.

ثم مرحلة البحث والنظر، وصوغ مسائل الدين صياغة فلسفية، وذلك بسبب ورود تحدّيات فكرية على عقيدة الإسلام تتعلق بالإيمان ومسألة القدر، من قِبَل أقوام أصحاب مِلَل ونِحَل من اليهود والنصارى والوثنيين والزنادقة، وخاصة في إقليم خراسان وما وراء النهر[٣٦].

كما استطاع المتكلمون . وجلّهم مؤرخو أديان توفروا على ثقافة موسوعية راسخة . بدراسةٍ منهجية، وقراءة نقدية، ومتابعة تاريخية دقيقة لأسس الأديان السماوية وغير السماوية، وأركانها، وتعاليمها، فدرسوا عن كتب أصول عقائدها، وحددوا مواضع الخلاف الأساسية بين العقيدة الإسلامية وسائر العقائد والآراء الفلسفية التي وجدها المسلمون في البلاد المفتوحة، ودخلوا في موجات فكرية ضدها؛ وذلك انتصارًا لما أثاره القرآن الكريم من مواضع الشذوذ والانحراف عن الحق في تلك الأديان والفلسفات(٣٧)، فصار حتمًا على الراسخين في العلم أن يتصدّوا للهجة الشرسة بإحدى طريقتين: المناظرة أو التأليف(٣٨).

ويمكن أن نذكر في هذا السياق الجهود الذي بذلها علماء خراسان وما وراء النهر، أسهمت في الذود على عقائد الإسلام، والحياطة على إيمان الأمة، ولكن رغم ذلك أبدى المسلمون من فنون التسامح مع مخالفيهم في العقيدة ما لا ينكره المنصفون، ويشهد به الأباعد قبل الأقارب.

لقد انبرى علماء الكلام لهذه الحركة المضادة بنتاج علمي ثَرٍّ، استطاع أن يُحكم السياج حول مسائل الاعتقاد بأسوار من الأدلة والحجج والبراهين، تصدّى لوضعها أئمة أعلام، نذكر نماذج منهم، مع التنبيه إلى أن مقالنا هذا لا شأن له بتقصي كل صغيرة وكبيرة عن القضايا الكلامية المطروحة؛ إذ أن كلاً منها يحتاج إلى بحث دراسي مستقل، وإنما الذي يعنينا في هذا المجال هو تقرير ما انتهت إليه هذه الطروحات من تطور وتغيير، وتنشيط للحياة الفكرية في إقليم المشرق، ونذكر من بينهم:

- أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن حفص البخاري (ت٢٦٤هـ) الذي وضع كتاب (الرد على اللفظية)، و(الأهواء والاختلاف)[٣٩].

- وأبو بكر محمد بن اليمان السمرقندي (ت٢٦٨هـ)، الفقيه، المتكلم، صاحب كتاب (الرد على الكرامية)[٤٠]، و(الاعتصام) في الحديث، و(معالم الدين) و(الأنوار)[٤١].

- كما نذكر محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة، أبو بكر السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ/٩٢٣م)، الذي روى عنه خلق كثير من علماء أعلام الحديث، منهم أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله البخاري صاحب (الجامع الصحيح)، والإمام الحجة الثقة مسلم بن الحجّاج، صاحب (الصحيح)، والحافظ أبو إسحاق بن أبي طالب النيسابوري...

وكان على طريق أهل الحديث، يقول بما قاله الصحابة ومن بعدهم من التابعين، ويمرّر صفات الباري تعالى ذكره على ظاهرها بدون تأويل لمتشابهها، ولا تحريف لظاهرها، وينزّه الخالق عن الشبيه والنظير والمثل.

وقد أثبت ذلك كله في كتابه (التوحيد)، وعنوانه بالكامل . كما ذكره مؤلفه . هو: "كتاب التوحيد وإثبات صفات الربّ عزّ وجلّ التي وصف بها نفسه في تنزيله الذي أنزله على نبيّه المصطفى عليه الصلاة و السلام وعلى لسان نبيّه، نقْل الأخبار الثابتة الصحيحة، نقْل العدول عن العدول، من غير قطع في إسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار الثقات"(٤٢).

وقد عُرف ابن خزيمة بسعة الرواية، وغزارة العلم، وسرعة الحفظ، وصفه تاج الدين السبكي فقال: "إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري، المجتهد المطلق، البحر العجاج، والحبر الذي لا يخاير في الحِجى، ولا يُناظر في الحجاج، جمع أشتات العلوم، وارتفع مقداره، فتقاصرت عنه طوالع النجوم، وأقام بمدينة نيسابور، إمامها حيث الضراغم مزدحمة، وفردها الذي رفع العلم بين الأفراد علمه، والوفود تفد على ربعه لا يتجنبه منهم إلا الأشقى، والفتاوى تُحمل عنه برًّا وبحرًا، وتشق الأرض شقًّا، وعلومه تسير فتهدي في كل سواد مدلهمّة، وتمضي علَمًا تأْتَمّ الهداة به، وكيف لا وهو إمام الأئمة..."(٤٣).

كـــالبحر يقـــذف للقريـــب كرمًـــا، ويبعـــث للغريـــب

انتصب الإمام ابن خزيمة في كتابه (التوحيد) للردّ على أهل الأهواء والبدع، ومناهضة أصحاب المقالات والمذاهب المخالفة للدين، مثبتًا مذهب أهل الآثار، معالجًا قضايا العقيدة بمنهج السلف في الاستدلال والحجاج والمناظرة. وقد وضح في مقدمة كتابه مبيّنًا سبب تأليفه، ومنهجه في بسط قضيته، وجهده في الدفاع عن قضايا العقيدة(٤٤).

كما يرجع الفضل في تنشيط الحركة الكلامية والفلسفية بإقليم المشرق إلى شخصيتين بارزتين هما: أبو القاسم الكعبي.و أبو زيد البلخي.

أما أبو القاسم، عبد الله بن أحمد الكعبي(ت ٣١٧هـ / ٩٢٩م)، فهو من بلخ، اشتهر بتبحره في علم الكلام، وهو رأس من رؤوس المعتزلة، له مذهب خاص، وأتباع يقال لهم: (الكعبية). من كبار المتكلمين، وله اختيارات في علم

الكلام. من تصانيفه في هذا العلم: كتاب (المقالات)، و(الاستدلال بالشاهد على الغائب)، و(الجدل)، وكتاب في (النقض على الرازي في الفلسفة الإلهية)، و(المسترشد في الإمامة)، و(نقض كتاب أبي علي الجبّائي في الإرادة)، و(أدب الجدل)، و(النقض على المجبّرة)، و(تأييد مقالة أبي الهذيل في الجبر)[٤٥].

ويمكن القول أنه بالرغم من وجود بعض المتكلمين من المعتزلة في بلخ، إلا أنها ظلّت قلعة أهل السنّة، تدافع عن عقيدتها بحرارة، حتى أنه لما ورد كتاب دار الخلافة إلى الليث بن مساور (ت٢٢٦هـ/ ٨٤٠م)، وكان قاضيًا فيها، بوجوب القول بخلق القرآن[٤٦]، فإنه خلع نفسه من القضاء، ورمى عمامته على الأرض ونادى: " إن كل من يقول بخلق القرآن فهو كافر".

وقد عدّ صاحب كتاب (فضائل بلخ) . الذي ألفه سنة (٦١٠هـ/ ١٢١٣م) . من شمائل بلخ المخصوصة، كوْن أهلها مسلمين، وكلّهم على مذهب أهل السنّة والجماعة. ومن دفاع بلخ عن عقيدتها السنية، وتمسكٍ بها، أنه حين أمر أحد الولاة بالمناداة بالشهادة الثالثة في الأذان، وهي: أشهد أن عليًّا ولي الله، فإنهم هاجموه وقتلوه.[٤٧].

. أما أبو زيد، فهو أحمد بن سهل البلخي(ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م). جمع بين الفلسفة والعلوم الشرعية والأدب. قال عنه أبو حيان التوحيدي فيما يذكره الحموي: " أنه لم يتقدم له شبيه في الأعصر الأُوَل، ولا يُظنّ أنه يوجد له نظير في مُستأنَف الدهر، ومَن تصفّح كلامه في كتاب (أقسام العلوم)، وفي كتاب (أخلاق الأمم)، وفي كتاب (نظم القرآن)، وكتاب (اختيار السِّيَر)، وفي رسائله إلى إخوانه، وجوابه عما يسأل عنه، ويُبْدِهُ به، عَلِم أنه بحر البحور، وأنه عالم العلماء وما رُئِيَ في الناس من جمعٍ بين الحكمة والشريعة سواه، وإن القول فيه لكثير" [٤٨].

كان يُلقّب بـ (جاحظ خراسان). وصفه آدم ميتز: "بأنه من دعاة الفكر الحر"[٤٩]. ألّف نحو ستين كتابًا في علوم مختلفة... كان يتنزّه عن الجدل في القرآن، ويتحرّج عن تفضيل بعض الصحابة على بعض، وعن المفاخرة بين

العرب والعجم.

من تآليفه: كتاب (شرائع الأديان)، وكتاب (السياسة الكبير والصغير)، و(حدود الفلسفة)، وكتاب (ما يصح من أحكام النجوم)، وكتاب (الرد على عبدة الأثان)، وكتاب (أخلاق الأمم) الذي استحسنه أبو حيان التوحيدي، وأثنى عليه بقوله: "قد رأيته وقرأته وقد أفاد، وكل من تكلم على طريقة الحكماء الذين يتوخون من الأمور لبابها، ويصرفون عنها قشورها، فله السابقة والتقدم على من يخبط كفلان وفلان..."[٥٠]. توفي ببلخ سنة (٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)[٥١].

ويُفهم من حكاية ذكرها ابن النديم أن أبا زيد البلخي كان معتزليا، وفي صراع فكري مع القرامطة[٥٢]،والثنوية[٥٣]، وهذا ما دعا منافسيه إضافةً إلى استغلالهم خوضَه في المنطق، إلى رميه بالإلحاد[٥٤]، وتلويث سمعته العلمية، وبالتالي الخلاص منه، فكانوا يعرضون على إحراجه في مناظرات ليس فيها ما يجدي طائلاً، ولا يتضمن حاصلا، على حد تعبيره، فيسألونه عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وعن مفاخرة العربي والعجمي، فيأتي جوابه واقعيا سليمًا، كسلامة فكره فيقول: إن الله تعالى يقول في القرآن: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ٢]، وأما معنى الصحابة وتفضيل بعضهم فقوله: " أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ" [٥٥].

ومن أسف القول أن المحاورات والمناقشات والمناظرات بين الفرق الكلامية وبينها وبين المخالفين لم تحظ باهتمام المصادر إلا قليلا، على الرغم من أن الدلائل تشير إلى كثرتها، كنتيجة طبيعية لمحاولة كل فرقة التعصب لمذهبها، والانتصار لآرائها.

إلا أن المذهب الأشعري في أصول الدين اقترن في كثير من الأحيان بالمذهب الشافعي في الفقه، وكلاهما اقترنا في وجودهما بخراسان (نيسابور، مرو، بلخ، هراة)، أما بلاد ما وراء النهر فقد ظهر بها مذهب سنِّي حاول سد الثغرات التي تركها الفكر الأشعري[٥٦]، وقام يدافع عن معتقدات أهل السنّة، ويصوغ أدلة عقلية لإثبات آرائهم، ويثبت عن طريق العقل بطلان أدلة

مخالفيهم، إلا أنه لم يتحقق له الذيوع والانتشار ما تحقق لمذهب الأشعري، وهو المذهب الماتريدي، المنسوب إلى مؤسسه محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي[٥٧] (ت٣٣٣هـ/ ٩٤٤م).

وسوف نبسط القول بقدر الحاجة في عرض هذا المذهب، من حيث جهود مؤسسه في خدمة العقيدة الإسلامية؛ لأنه نشأ في منطقة نائية بعيدة عن مناطق التوجيه

الفكري الذي نشأ فيها الأشعري، ونصرة قضاياها في بلاد ما وراء النهر.

لقد قرر العلماء أن آراء أبي حنيفة في العقائد هي الأصل الذي تفرعت منه آراء الماتريدي، واعتبر أبو منصور الماتريدي هو المؤسس للاتجاه الكلامي في المذهب الحنفي. وقد خلع عليه أصحابه ألقابًا منها: إمام الهدى، وقدوة أهل السنة والاهتداء، رافع أعلام السنة والجماعة، قالع أضاليل الفتنة والبدعة، إمام المتكلمين، ومصحح عقائد المسلمين...[٥٨].

وهذه الألقاب تدل على مكانته العلمية بين أصحابه من الحنفية الذين لم يعتبروا الماتريدي مجرد شارح ومفصّل لطريقة أبي حنيفة، بل كان مبتكرًا له منهجه ومذهبه الخاص. فإذا كان الجانب الفقهي من المذهب الحنفي يرجع إلى أبي حنيفة، فإن الجانب الكلامي في المذهب الحنفي يرجع إلى الماتريدي، ولا يقلّل ذلك من أهمية الصلة بين أبي حنيفة والماتريدي، فإن الصلة بينهما مؤكدة. ولقد كان الماتريدي أعرف الناس بآراء أبي حنيفة؛ لأنه أعرف أتباعه بمذهبه، واستعان ببعض ردود أبي حنيفة على المخالفين.

وخلاصة القول أنه إذا كان لأبي حنيفة فضل أول محاولة لإقامة مذهب كلامي على اعتقاد أهل السنة، فإن للماتريدي فضل إقامة مذهب متكامل، أيّده بالحجة والبرهان العقلي، والأقيسة المنطقية، للتعبير عن اعتقاد أهل السنة[٥٩]. ويمكننا التعرف على ثقافة الماتريدي عن طريق أنواع العلوم التي حصّلها والكتب التي ألّفها، والتنوّع الحاصل فيها، مما يدل على عمق ثقافته، وسعة

إلمامه بشتى صنوف المعرفة في زمانه، وأنه قد جمع بين استيعابه لعلوم الشريعة والحكمة.

وقد صنّف الماتريدي كتبًا عديدة قيّمة، في التفسير، وأصول الفقه، وعلم الكلام، وهي التي تهمنا في هذا المقام. ويمكن تقسيم هذه المصنّفات إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الكتب التي تعرض عقائد الفرق المختلفة، وتعرّف بأصولها التي تخالف أهل السنة والجماعة، ومن هذا النوع كتاب (المقالات).

النوع الثاني: الكتب التي يردّ فيها الماتريدي على فرق خاصة كالمعتزلة أو رجل بعينه . كالكعبي . في بعض المسائل والأصول التي خالفوا فيها أهل السنة. ومن هذا النوع: كتاب (بيان وهم المعتزلة)، وكتاب (الرد على القرامطة)، و(رد كتاب الإمامة لبعض الروافض)، و(رد أوائل الأدلة للكعبي)، و(رد كتاب وعيد الفساق) للكعبي، و(رد تهذيب الجدل للكعبي).

النوع الثالث: الكتب التي تشتمل على ذكر جملة من عقائد أهل السنة، مع بيان أدلتها العقلية والنقلية، والردّ على المخالفين، ومن هذا النوع: كتاب (التوحيد)، ويُعدّ من أقدم الكتب التي تبحث في أصول مذهب أهل السنة والجماعة في مجال العقيدة بشيء من التفصيل، وتدافع عنها، وتردّ على المخالفين بدلائل العقل والنقل، ويظهر في هذا الكتاب لأول مرة حديث عن (المعرفة)، وهو الموضوع الذي أولاه علماء الكلام اهتماما كبيرا فيما بعد[٦٠]، حيث يتفق الماتريدي مع أرباب النظر في ضرورة النظر واستخدام العقل في إدراك أسرار الكون ومعرفة الخالق، وفهم النصوص، والآيات المتشابهات، لكنه لا يتفق معهم في كفاية العقل واستقلاله بإدراك جميع الحكم والعلل في جميع أمور الدين[٦١].

وقد اهتم الماتريدي اهتمامًا كبيرًا بالرد على الفرق التي كانت لا تقر بدينٍ، ولا تؤمن بخالق، وتقول بقدم العالم، ومن أشهر هذه الفرق الدهرية والسمنية[٦٢]

والثنوية. ويبدو أن هذه الفرق كانت منتشرة في خراسان وبلاد ما وراء النهر. يقول دي بور: "إن القول بقدم العالم كان ذائعًا في جميع بلاد الشرق ذيوعًا كبيرًا"[٦٣].

كما أنه كان (للمانوية)[٦٤] وجود في سمرقند نحو خمسمائة رجل، واشتهر أمرهم، وانتقلت رئاستهم إلى سمرقند، وصاروا يعقدونها بها بعد أن كانت تعقد في بابل. كما ظهر أصحاب ابن ديصان [٦٥]بخراسان، وظهر كثير من المرقيونية[٦٦] الذين يتسترون بالنصرانية بخراسان.

ولقد عرف الماتريدي آراء هذه الفرق مما يدل على انتشارها وأن لها بعض الأتباع في عصره وبيئته، ويعتبر كتابه (التوحيد) من أقدم المراجع التي فيها ذكر آراء هذه الفرق بالتفصيل والردود عليها[٦٧].

وقد سلك الإمام الماتريدي في رده على الفرق منهجًا يتصف بسمات حدّدها الدكتور علي عبد الفتاح المغربي في النقاط التالية[٦٨]:

١ ـ **التوسط بين العقل والنقل:** لأنه من دواعي استحسان ذلك الموقف الوسط هو قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط في ذلك كله دعامته من الدين، وهو خير تعبير عن روح الدين وتعاليمه[٦٩].

وليس موقف الوسط كما يُظن أنه مجرد التوفيق بين الآراء، وأنه يخلو من الابتكار؛ لأن موقف الوسط يتطلب معرفة كاملة لأحكام النقل وأحكام العقل... وهو موقف نظري اعتباري، وليس موقفًا حسابيا دقيقًا؛ لذا فهو موقف صعب.

٢ ـ **استقلال الفكر:** وهو عدم التعصب لمذهب أو رأي معين، مما يضمن للفكر حريته وموضوعيته ونزاهته.

٣ ـ **النظرة الكلية للأشياء:** إمتاز فكر الماتريدي بنظرته الشاملة الكلية، وربط الجزئيات بالكليات، وردّ المسائل المتفرعة إلى أصولها التي تجمعها، وهذا هو النظر الفلسفي الذي لا يقف عند الجزئي، ولا يفرق في المسائل الفرعية، بل يردّها إلى الحقيقة التي تجمعها. ويوضح ذلك عنايته بأصول الفقه، وتأليفه فيه.

وهو علم يقوم على ربط المسائل الفرعية الفقهية بأصول وأحكام فقهية عامة، واشتغاله بهذا العلم دليل على نوعية فكره الفلسفي المنطقي.

٤ . **الربط بين الفكر والعمل:** وهو المواءمة بين أفكارنا وعملنا، بحيث أن تقود أفكارنا عملنا وتهديه. ففي كثير من المسائل لا يخوض في تفصيلاتها إذا رأى أن الحاجة لا تدعو إلى ذلك.

٥ . **الاهتمام بالمعنى والمضمون:** فلا يقف عند حد الشكل، بل ينفذ إلى عمق الجوهر، ويلتمس المعنى وراء الشكل أو اللفظ، والمهم هو إبراز المعنى والكشف عن مضمونه، وإدراك مراميه وتحقيقه.

٦ . **السِّمة النقدية:** يمثّل النقد جانبًا كبيرًا عند الماتريدي، ولقد قام الجانب النقدي لآراء الخصم عنده على عرض هذه الآراء وتحليلها وردّها إلى أصولها، والبحث عن علة الخطأ فيها، ولقد سلك في ذلك المنهج الجدلي. وتجد لديه ما يشبه الحوار السقراطي القائم على التهكم والتوليد.

ومن الجدير بالذكر أن للماتريدي مريدين وأتباعًا عملوا على نشر مذهبه وآرائه وطريقته في كثير من البلاد الإسلامية، متّبعين مذهب أبي حنيفة وطريقة السلف في الفقه. ومن هؤلاء العلماء البارزين في بلاد ما وراء النهر نذكر: أبو القاسم اسحاق بن محمد بن إسماعيل، الشهير بالحكيم السمرقندي، المتوفى سنة (٣٤٠هـ أو ٣٤٢هـ). صاحب التصانيف الكثيرة منها: (عقيدة الإسلام)، و(شرح الفقه الأكبر)، و(السواد الأعظم)[٧٠].

. كما نذكر أيضا فيلسوف نيسابور أبا الحسن، محمد بن أبي ذر يوسف العامري، المتوفى سنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م)، الذي درس الفلسفة والكلام على يد أبي زيد البلخي في خراسان، وعُرف بعد ذلك (بالفيلسوف النيسابوري). عاش محبًّا للترحال، وملاحقة أحوال الناس، وتقلبات الأيام والدول.

رحل العامري إلى بخارى، وأقام فيها فترة من الزمن في حضن الأمراء السامانيين، وألّف معظم كتبه لآل سامان، مثل: كتاب (التقرير لأوجه التقدير)،

صنّفه لأبي الحسين العتبي، وزير نوح بن منصور الساماني، وألّف كتاب (السعادة والإسعاد) لأمير من أمراء سامان كان يطمح المؤلّف أن يكون وزيرًا له، ولا سيما وجود اقتباسات كثيرة في هذا الكتاب من المصادر الفارسية عن السياسة وإدارة شؤون الدولة. وما شجّعه على تأليف الكتب تشجيع السامانيين المعلِّم والعلماء ماديا وأدبيا، إلى جانب وجود مكتبتهم الشهيرة مما أغرى العامري بالتردد على بخارى[٧١].

من أهم مصنفاته:

١ . كتاب (الإعلام بمناقب الإسلام): تناول فيه المقارنة بين الإسلام وبين ديانات أخرى، ذُكرت في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [الحج: ١٧]. فمجال المقارنة إذن ستة أديان: الإسلام، اليهودية، ودين الصابئة، والنصرانية، ودين المجوس (الزرداشتية)، والشرك (عبادة الأصنام).

وأما موضوع المقارنة، فيتناول العامري في مصنّفه: أركان الدين الثلاثة، وهي: العقيدة التي تشمل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والنبوّات، واليوم الآخر. والعبادة التي تشمل العبادة النفسية (الصلاة)، والبدنية (الصوم)، والمالية (الزكاة)، والسياسية (الجهاد)، والعبادة الشاملة للعبادات السابقة (الحج). والشريعة التي تشمل المعاملات، والحدود[٧٢].

٢ . وله كتاب (الإبانة عن علل الديانة) ٣ . الإرشاد لتصحيح الاعتقاد ٤ . النسك العقلي والتصوف الملّي ٥ . إستفتاح النظر ٦ . الإبصار والمبصر ٧ . تحصيل السلامة عن الحصر والأسر ٨ . التبصر لأوجه التعبير،٩ . المسائل ١٠ . الرسائل الوجيزة ١١ . شرح الأصول المنطقية ١٢ . تفاسير المصنّفات الطبيعية ١٣ . منهاج الدين ١٤ . التعرف لمذهب أهل التصوف ١٥ . الفصول في المعالم الإلهية ١٦ . شرح كتاب النفس لأرسطوطاليس ١٧ . الأمد إلى الأبد[٧٣].

وتُظهر هذه المؤلَّفات مدى سعة ثقافة العامري، وغزارة علمه، حيث تناول القضايا الفلسفية من جوانب متعددة. وقد كان فكره يقوم على أن الفلسفة مقاودة للشريعة، والشريعة مشاكلة للفلسفة، وأن إحداهما أمٌّ والأخرى ظِئْر، ولهذا طردوه، فأصبح يعيش متخفيا شريدًا، تارة عند ذي الكفايتين أبي الفتح بن العميد، ومرّة يلجأ إلى صاحب الجيش بنيسابور، ومرّة يتقرب إلى العامة، وهو على ذلك متّهم بالإلحاد(٧٤).

. كما نذكر من أعلام المتكلمين الذين ساهموا في الحياطة على عقائد الأمة ومذاهبها الصحيحة في إقليم المشرق أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك النيسابوري (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)الذي قاربت مؤلفاته . كما يقال . المائة، وكان شديدا على المعتزلة خصوصا على ابن كرّام، (زعيم الكرامية) فتحزب الكرامية عليه، ووشوا به إلى السلطان محمود الغزنوي متهمينه بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس نبيا اليوم، وان رسالته انقطعت بموته، فلما حضر بين يدي السلطان سأله فكذّب ذلك الكلام، ووضح للسلطان الأمر فأمر بإعزازه وإكرامه، فلما يئست الكرامية منه سلطوا عليه من سمه في الطريق[٧٥].

لابن فورك تصانيف جمة جمعت بين أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن ومن أهمها :

- كتاب الحدود في الأصول، وهو تعريفات لأسس الفقه الحنفي
- النظامي في أصول الدين
- طبقات المتكلمين
- رسالة في علم التوحيد [٧٦]

ولما كان ابن فورك من المعاصرين للإمام الباقلاني فإن كلاهما تتلمذ على يد أبي الحسن الباهلي صاحب أبي الحسن الأشعري، وكلاهما كان له الأثر البالغ في تطوير المذهب الأشعري ودعمه بالأدلة و الحجج و البراهين. مع جمع ابن فورك بين علم الكلام وعلم الحديث مما لم يتوفر لكثير من أهل الكلام البعيدين عن علم الحديث رواية ودراية.

ويظهر من مصنّفات المتكلمين السابقين أن الصراع كان محتدمًا بين الأشعرية والمعتزلة في خراسان وما وراء النهر، مما جعل الخلافة العباسية تتدخل لفضّ هذه المناظرات والخلافات. ففي عام (٤٠٨هـ/١٠١٧م) أصدر الخليفة القادر بالله كتابًا ضد المعتزلة، أمرهم فيه بترك الكلام، والتدريس، والمناظرة في الاعتزال، والمقالات المخالفة للإسلام، وأنذرهم إن خالفوا أمره فسوف يتخذ ضدهم أشدّ العقوبات. وكان السلطان محمود الغزنوي أول من امتثل في غزنة لأمر أمير المؤمنين، واستنّ بسنّته في قتل المخالفين، ونفيهم وحبسهم، كما أمر بلعنهم(٧٧).

وقد كُتب لفكر الأشعري أن ينتشر في الآفاق، وينتقض على فكر المعتزلة، ويصنّف ردوده عليهم، ويحمل معه (عقلانيةً) ميّزته عن السلفية النصوصية، متخذًا في ذلك منهج الفقهاء في أصول الفقه، كما صاغه الشافعي، ومنهج المتكلمين من أهل السنّة، وخاصة ابن كلاّب(٧٨)، وبسلفية أحمد بن حنبل... بكل هذه المنطلقات ومنها انطلق الأشعري صانعًا تحوله الفكري التاريخي، ومبلورًا منهجه الوسطي الجديد(٧٩).

وقد ساعدت هذه الوسطية مذهب الأشعرية، وجعلته مهيَّئا أكثر من غيره كي يلبّي حاجة أوساط جمهور الأمّة في قضايا الاعتقاد... كما أن فقهاء الإسلام العظام أغنوا المذهب، وحققوا له هيمنة فكرية على أمّة الإسلام، من أمثال أبي بكر القفال الشاشي النيسابوري، وأبي سهل الصعلوكي، وأبي زيد المروزي... إلى آخر أعلام الطبقة الأولى من الأشعرية، ومن تبعهم، وتتلمذ على أيديهم.

وقد استطاع علماء خراسان أن يطوّروا المذهب الأشعري، ويقعّدوا له القواعد، حتى يصل إلى مرحلة النضج في القرن الخامس الهجري، الذي سُمِّي (قرن الأشعرية)؛ لأن قوى سياسية في بغداد أو خراسان أو في بلاد ما وراء النهر عملت على دعمه، بل ورأت فيه الإيديولوجية السنية التي تمكّنها من الإجهاز على الإيديولوجية الشيعية، كالذي فعله السلاجقة مع البويهيين.

أما في إقليم خوارزم فقد ارتبط علم الكلام بالمعتزلة حتى انه انتشر بين عوام الناس حتى قيل :" أن عوام خوارزم كلهم متكلمة، يبحثون بحثا صحيحا"[٨٠].

وقد ارتبط علم الكلام بمذهب الاعتزال في إقليم خزارزم وخاصة في العصرين السلجوقي و الخوارزمي، في حين كان هذا المذهب ينحسر في كثير من الأقطار الاسلامية، وإذا كان هذا المذهب قد دخل عن طريق أبو مضر النحوي المعتزلي، محمود بن جرير الضبي الأصفهاني (ت ٥٠٧هـ /١١١٣م) فإن الإمام أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ /١١٤٣م) هو آخر فحول المعتزلة في هذا الإقليم الذين دافعوا عن الاعتزال، ولم يأت بعده من يسابقه أو يجاريه [٨١]، برع في علم الأدب، والنحو، واللغة، لقي الكبار، وصنف التصانيف في التفسير، والغريب، والنحو.. وورد بغداد غير مرة، ودخل خراسان عدة نوب. وما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له. وكان علامة الأدب، ونسابة العرب. كان إمام عصره، له التصانيف البديعة، منها «الكشاف»، ومنها "الفائق"في غريب الحديث، ومنها كتاب "أساس البلاغة"، وكتاب "ربيع الأبرار وفصوص الأخبار"، وكتاب "تشابه أسماء الرواة"، وكتاب "النصائح الكبار"، وكتاب "ضالة الناشد"، و "الرائض في الفرائض" [٨٢]. إلى غير ذلك من الكتب القيمة، وكلها فيها جدة وابتكار. ولعل الزمخشري أبرع ما في إنتاجه العلمي تحقيق الأمن اللغوي في إقليم بدأت اللغات المحلية تزاحم اللغة العربية،ودخول العجمة في العربية الفصيحة، وقد تجلى ذلك في تفسيرة " الكشاف " المتفرد في خدمة بلاغة الفرآن وحماية اللسان العربي المبين.

كما أن الزمخشري عمل على سوق الحجج و البراهين للتوفيق بين أصول مذهبه الاعتزالي وتفسير الآيات القرآنية، كنفي السحر، وعدم رؤية الجن، وأفعال العباد بين الجبر والاختيار، وغفران الله لعباده، والحق أن ذلك كله مقلوب، فبدل أن يطبق المبادئ ويخضع القرآن لها، كان يجب أن يطبق القرآن

ويخضع المبادئ له، ولكن هذا كانت طريقته[٨٣].

ولما كان إيمان الزمخشري إيمانا جدليا، أي عن طريق المنطق و المقدمات و النتائج و القياس، فقد واجه انحراف الفكر الصوفي في إقليم المشرق وأنكر ما يقوله الصوفية في شأن الحب الإلهي، وما يستعيرونه في حبهم من ألفاظ الغزل وشعر الغزليين من الشعراء، كأبي نواس و مسلم ين الوليد. وما يذكرون من الهجران و الوصال و الغناء في المحبوب ونحو ذلك، وما قسموه من مراتب الحب و الشوق، من محبة العوام إلى محبة الخواص إلى محبة خواص الخواص حيث الجذبة الإلهية و الفناء في المحبوب،وغير ذلك مما لم يؤمن به الزمخشري واستنكره وصححه في ما كتب من تفسير الآيات المتعلقة بالحب بين العبد وربه[٨٤].

الخاتمة

ونخلص من الحديث عن الصراعات المذهبية و العقدية في إقليم المشرق (خراسان وماوراء النهر) والتي شارك فيها المتكلمون و الفقهاء والمتصوفة و الفلاسفة، وكيف ساهم الجميع في الرد على ضلالات الفرق المنحرفة ونسجل الملاحظات التالية :

١ . بالرغم من التفكك السياسي الذي عانت منه الدولة العباسية منذ القرن الثالث للهجرة، وكثرة الفرق والطوائف، وتشعّب الآراء والمذاهب... الشيء الذي نال من وحدة السلطة، واستمرارية الحكم المركزي، إلا أن الوحدة الفكرية والارتباط العقائدي ظلّ ميزة تميزت بها الفترة الزمنية محل الدراسة .، وذلك خلاف ما ذهب إليه الجابري: "من أن كثرة المذاهب والفرق والطوائف نال من وحدة السلطة، واستمرارية الدولة، وبالتالي من وحدة الفكر ودوام المجتمع"(٨٥)، إذ لو كان الأمر كذلك لما رأينا ذلك الامتداد الفكري والتواصل الثقافي بين مركز الخلافة وأقاليم الدويلات المستقلة في المشرق. ويشهد على ذلك تماثل البحث والتأليف، وتناغم الأفكار، وتوحد المرجعية الثقافية

لجميع علماء الإسلام في بلاد المسلمين.

٢ . في أحضان البيئة الهادئة سياسيا، ينمو الفكر، ويزدهر العلم والتفكير السليم في شتى مناحيه؛ وذلك ما نلحظه في عطاء المذاهب الإسلامية تأليفًا وتصنيفًا وعطاءً، وخاصة في زمن الدولة السامانية.و الدولة الغزنوية، في إقليم المشرق.

٣ . بالرغم مما كانت تعّج به خراسان وبلاد ما وراء النهر من أفكار وفلسفة، فقد استعصت أمّة الإسلام على الاحتواء الحضاري، والسحق القومي، الذي تحدّاها به أعداء كثيرون على امتداد مسيرتها الثقافية... وظلّت رغم الفلسفات الهاجمة، والأفكار الدخيلة الزاحفة إلى عقل الأمة وضميرها ووجدانها، يمثل جميع فِرَقها شرف الانتماء إلى الكيان العقلي الإسلامي الذي يشكل القسمات الأصيلة المميّزة لأمتنا وحضارتنا. وانتصب العقل المسلم ليتعبّد بالنّص المأثور، ويوفّق بين الحكمة والشريعة، مما جعل الفلسفة في حضارتنا تتديّن، كما تفلسف عندنا الدين.

٤ . لاشك أن محورية العقيدة الإسلامية في قيام المجتمع الإسلامي، وإغفال كل اعتبار للجنس والعنصر والقومية والإقليمية والتاريخية كأساس من أسس قيام المجتمع، جعلت المجتمعات على مرّ الدويلات الإسلامية في إقليم المشرق تعيش جوًّا من التسامح والمساواة والحرية، إلا أن التسلل الثقافي الذي نشطت في ظلّه حركات هدّامة، ومذاهب منحرفة مناوئة للسلطات القائمة، نشّطت ميدان علم الكلام، وحفّزت علماءه على رصد الفكر الدخيل، وصون العقيدة الإسلامية من تحديات العقائد المناوئة على اختلاف أنواعها، وفي صورها المستترة والمعلنة على السواء.

٥ . لم ينحصر بعض الفقهاء الأعلام في خراسان وما وراء النهر في المسائل الفقهية الفرعية، ونأوا بعيدًا عن اهتمامات الأمة الراهنة، وما تعانيه عقائدها من غلواء الانحراف والإلحاد، بل وجّهوا أنظارهم أيضا إلى المباحث التي يدور فيها الاحتكاك بين الإسلام وبين عقائد المخالفين، وأعدّوا لمنازلتها

أقوى الأدلة، وأغنى البراهين، وأصلب الحجج، مما مكنّهم من الانتصار عليها، وكشف عوارها، وفضح أساليب منتحليها، والاحتفاظ للأمة بدورها الريادي كما فعل الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى.

٦ . إن علم الكلام علم إسلامي نشأ من النقاش الذاتي حول القرآن الكريم، وتلبية لحاجة عصره، بالمشاركة في حلّ مشكلاته، ومتصديًا لدفاع عن الإسلام. وقد بدت في مباحثه ابتكارات المسلمين، ووضوح العنصر الإسلامي أكثر من غيره. ولا يعني هذا أنه كان مقطوع الصلة بالثقافات الأجنبية، بل نقصد قلّة ذلك التأثر، خاصة عند أوائل المتكلمين الذين جعلوا من مهامهم استبعاد الفلسفة اليونانية من دائرة الدين، ومعارضة المنطق الأرسطي؛ لأنه مبني على ميتافيزيقا أرسطو التي رفضوها... ولكن هذا لا يمنع من استفادة المتكلمين في منهجهم الجدلي ببعض القواعد الفنية للجدل الأرسطي، ولكن هذا الأثر المحدود لم يدخل في صميم آرائهم وأفكارهم، فعاش متكلمو الإسلام أبناء بارين للفكر الإسلامي والبيئة الثقافية الإسلامية، وقيّمين أمناء للتراث الإسلامي الخالص.

٧ . لم يكن هدف علم الكلام هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد شبهات الخصوم فحسب، بل تضمنت مباحثه ومناظرات أعلامه شرح حقائق الإيمان بالأدلة العقلية، بهدف اجتذاب هؤلاء الخصوم إلى رحاب الإيمان.كما ذادت عن حياض التصوف السني المعتدل بعيدا عن الشطحات الصوفية وتهويماتها المنحرفة.

٨ . إن أصحاب الديانات والمذاهب المناهضة للإسلام قد سيجوا عقائدهم بالفلسفة، وكان من الطبيعي أن يحذق المتكلمون طرائقهم في الجدل،وأدلتهم في الحجاج، ويدرسون مواطن الضعف و القوة عندهم، وقد تسلح المتكلمون بسلاحين هامين هما الفلسفة و اللغة، وهذا ما يؤكده الجاحظ بقوله :" ولا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكنا في الصناعة يصلح للرياسة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة و

العالم عندنا هو الذي يجمعهما " .

٩ . شهدت الحياة الفكرية في الميدان الكلامي خلافات ومشادات ومناظرات بين الفرق الكلامية الإسلامية، كالمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، آخذين بالدليل العقلي والنقلي، ومختلفين في مدى الأخذ بهما، جاعلين أحدهما الأصل والآخر الفرع، ويرجع ذلك إلى تقدم أحدهما على الآخر، وإلى درجة اليقين في كل منهما. ولكن جميع هذه المسالك أثْرت الحياة العقلية، وجعلت الآراء تتطور داخل كل فرقة، وتتضح آراؤها من المتقدّمين إلى المتأخرين، كردود الماتريدي على أقطاب مذهب الاعتزال من أمثال النظّام، وابن شبيب، وجعفر بن حرب، والكعبي، وردوده على محمد بن كرام السجستاني زعيم الطائفة الكرامية، والجهمية، والمتصوفة... وذلك مظهر إيجابي أضفاه علم الكلام على الفكر الإسلامي دون شك.

١٠ . إنّ علم الكلام في الفترة . موضوع الدراسة . لم يكن قد اختلط بالفلسفة بعد، إذ أنه في مراحل لاحقة، وفي فترات متأخرة عن فترة بحثنا اختلط علم الكلام بالفلسفة، وأصبحت له غاية تعليمية، وسلبت منه وظيفته الدفاعية الحية عن عقائد الإسلام وتعاليمه. وقد عبّر عن هذا المعنى ابن خلدون في قوله: " وعلى الجملة فينبغي أن يُعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودوّنوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزّه الباري عن الكثير من إيهاماته وإطلاقاته"[٨٦].

ولاشك أن عقائد الإسلام تتعرض في كل زمان . وخاصة في عصرنا الراهن . للخطر الذي تعرضت له في العصور الأولى إن لم يكن أشد منها عنفًا. فالفلسفات الحديثة والمعاصرة من جدلية مادية، وبراجماتية، ووضعية، ووجودية، وعولمة ثقافية، ومن يقف وراء هذه الفلسفات من دول عظمى، ومؤسسات قوية، تتسم بالضراوة والحنكة وحسن التخطيط، تناوش عقائد الإسلام، وتعمل على

هزيمته في أكثر من ميدان.

وعلى هذا يمكن لعلم الكلام اليوم . بعد إعادة صياغة مباحثه . أن يقوم بالدور نفسه لحل المشاكل الطارئة في حياة المسلمين فكريا وسلوكيا، وحراسة الإيمان، وصدّ حملات التشويه، والزيغ، والاحتواء... ولا يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلح به أولها.

هوامش البحث :

١ . **خراسان** : تعني كلمة خراسان في اللغة الفارسية القديمة: (مطلع الشمس المشرقة)، وهي مركبة من (خر)؛ ومعناها: الشمس، و(آسان)؛ ومعناها: موضع الشيء،وقد وصف الجغرافيون العرب حدود إقليم خراسان وذكروا: أنه يحدّه من الشرق: نواحي سجستان وبلد الهند، ومن الغرب: صحراء الغز وجرجان، ومن الشمال بلاد ما وراء النهر وقسم من بلاد الترك، ومن الجنوب مفازة فارس وقومس ونواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وما يتصل بها.وأشهر مدن هذا الإقليم هي : نيسابور، ومرو، وبلخ، وهراة. أنظر : ابن حوقل. **صورة الأرض**. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت). ص٣٥٨. الإصطخري (ابن اسحق إبراهيم ابن محمد الفارسي للاصطخري المعروف (بالكرخي) متوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري. **مسالك الممالك**. بيروت: صادر، مصور عن نسخة ليدن: مطبعة بريل ١٩٢٧. ص٢٥٣. كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٤م، ص٤٢٣. ياقوت الحموي. **معجم البلدان**. ط١، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م. ج٢/ص٤٠١.

٢ . **بلاد ما وراء النهر** : أطلق العرب تعبير (بلاد ما وراء النهر) على المناطق الواقعة في حوض نهري جيحون (آموداريا Amoudariya)، وسيحون (سيرديريا Siradarya)، وقد ضمت عدة ممالك مستقلة منها ما يقع على نهر جيحون وهي مملكة طخارستان، ومملكة الختل، ومملكة صغانيان، ومنها ما يقع نهري جيحون وسيحون ن وهي مملكة الصغد (بخارى وسمرقند) ومملكة خوارزم، ومنها ما يقع خلف نهر سيحون وهي مملكة فرغانة ومملكة اشروسنة ومملكة الشاش.أنظر : الإصطخري. **مسالك الممالك** ص٢٨٦ . ٢٨٧ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص ٣٨١، بارتولد (Barthold). **تركستان . من الفتح العربي إلى الغزو المغولي** . ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، ١٩٨١م. ص١٤٥.

٣ . محمد عبد الحميد الرفاعي. **الخلافة العباسية و الحركات الاستقلالية بالمشرق**. ط١، القاهرة : دار الثقافة العربية، ١٩٩٧م، ص١٢٨-١٢٩

٤ . محمود محمد خلف. **بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي (١٣٢-٢٦١هـ /٧٥٠-٨٧٢م)**، ط١، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م، ص١٣٥.

٥ . الرفاعي. **الخلافة العباسية و الحركات الاستقلالية بالمشرق**، مرجع سابق، **ص ١٤٨.**

٦ . العتبي، أبي بنصر محمد. **تاريخ العتبي**. تحقيق : محفوظ أبي بكر بن معتومة، ط١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٤م، ص١٣٢، الهجراني الحضرمي، أبو محمد الطيب. **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**. عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، ط١، جدة : دار المنهاج م ٢٠٠٨م، ج٣/ص ٣٨٦.

٧ . أحمد جوارنه. **جهود السلطان محمود الغزنوي في نشر الاسلام السني في أواسط آسيا وإيران، أفغانستان، الهند**. مجلة مؤتة للبحوث و الدراسات، مج ١١،ع٢، ١٩٩٦م، ص١٤٤.

٨ . البنداري. **تاريخ دولة آل سلجوق**. ط٣، بيروت " دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م، ص ٩.

٩ . الذهبي، شمس الدين. **سير أعلام النبلاء**.ط٣، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ج١٩/ص٥٢٩.

١٠ . المصدر نفسه. ج٢٠/ص٣٦٤.

١١ . الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢، مصر : دار المعارف، ١٩٦٧م، ج٩/ص٧. ابن الأثير.عز الدين. **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م، ج٦/ص٨.

١٢ . محمد ابو زهرة. **تاريخ المذاهب الاسلامية**، القاهرة : دار الفكر العربي، (د، ت)، . ص٦٦٨.

١٣ . أنظر :إيهاب نبيل رفاعي. **الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الاسلامي**. ط١، القاهرة : دار الآفاق العربية، ٢٠١٢م، ص ٨٧.

١٤ . . الأشعري، أبو الحسن. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**. ط٣، ألمانيا : دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، ١٩٨٠ م، ص ١٤١.

١٥ . ابن تيمية، تقي الدين. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**. تحقيق : محمد رشاد سالم، ط١، السعودية : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٦ م، ج٢/ص٥٩٩.

١٦ . إيهاب نبيل رفاعي. **الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الاسلامي**. مرجع سابق، ص ١٠٤.

١٧ . المرجع نفسه. ص١٠٦

١٨ . نظام الملك. **سياسة نامة**. ص٢٦٥، نقلا عن : رفاعي. **الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الاسلامي**. مرجع سابق، ص ١١١.

١٩ . محمد عمارة. **الوسيط في المذاهب و المصطلحات الإسلامية**. القاهرة : نهضة مصر، ١٩٩٩م، ص٩٤

٢٠ . رفاعي. **الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الاسلامي**. مرجع سابق، ص ١٢٤

٢١ . شرين عبد الرحمن السماحي. **الحياة الثقافية في غزنة من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن السادس** الهجري. ط١، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٤م، ص ٣٦٥.

٢٢ . الذهبي، شمس الدين. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تحقيق : عمر عبد السلام التدمري، ط٢، بيروت : دار الكتاب العربي١٩٩٣م، ج٢٨/ص٢٦٦.

٢٣ . بالرغم مما عرف عنه من الفضل و الزهد و العبادة، ويذكر أنه قد أسلم على يديه من أهل الكتابين و المجوس بنيسابور ما يزيد على خمسة آلاف رجل وامرأة. أنظر :المنصوري، أبو الطيب نايف. **الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم**. ط١، الرياض : دار العاصمة للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ج١/ص٣٥٩.

٢٤ . العتبي، أبي نصر محمد. **تاريخ العتبي**. تحقيق : محفوظ أبي بكر معتومة، ط١، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٤م، ص ٢٩٢. رفاعي. **الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الاسلامي**. مرجع سابق، ص ١٣٣-١٣٤.

٢٥ . ابن خلدون، عبد الرحمن. **تاريخ ابن خلدون**. مراجعة : سهيل زكار، ط١، بيروت : دار الفكر ١٩٨١م، ج٤/ص٤٩٤. شرين السماحي. **الحياة الثقافية في غزنة**، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

٢٦ . الذهبي. **تاريخ الإسلام**. ج١٠/ص ٦٠.

٢٧ . بارتولد، فاسيلي ديمير وفيتش. **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**. ترجمة أحمد السعيد سليمان. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.ص١٢٧.

٢٨ . القرشي، أبو الفداء إسماعيل. **طبقات الشافعيين**. تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٣م، ص ٤٧٨.

٢٩ . عفاف صبرة، نجوى كيرة. **تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الاسلامي –دراسة سياسية حضارية**. ط١، القاهرة : مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٩م، ص١٨٠.

٣٠ . عباس إقبال. **تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية**. ترجمة عبد الوهاب علوب، أبوظبي : المجمع الثقافي، ٢٠٠٠م، . ص١٦٣، فتحي أبو سيف. **الدولة العباسية و المشرق الاسلامي**. ط١: القاهرة : دار الافاق العربية، ٢٠١٤م، ص ٣٦٠.

٣١ . محمد سعد السيد أحمد عزب. **الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي و الخوارزمي**. ط١، القاهرة : شركة نوابغ الفكر، ٢٠٠٩م، ص٩٣.

٣٢ . انظر: عباس محمود العقاد. **التفكير فريضة إسلامية**. بيروت: منشورات المكتبة العصرية. (د.ت). ص٩.

٣٣ عبد المجيد النجار. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**... مرجع سابق، ص٨١ . ٨٢، وانظر: أحمد أمين. **ضحى الإسلام**. ط١٠، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت). ج٣/ص١ . ٩.

٣٤ . ابن خلدون. **المقدمة**. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م، ص٤٤٠.

٣٥ . نجد هذا الاستنكار الشديد لعلم الكلام وذمّه عند كثير من علماء المسلمين وأئمتهم نذكر منهم: ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في كتابه (تأويل مختلف الحديث)، وابن عبد البر

(ت٤٦٣هـ) في كتابه (مختصر جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وعمله)، والهروي (ت٤٠١هـ) في كتابه (ذم الكلام وأهله)... وغيرهم.

٣٦. النجار. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**. مرجع سابق. ص١٠٢، محمد صالح السيد. **أصالة علم الكلام**. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٧م، ص٢١.

٣٧ . عرفان عبد الحميد فتاح. **منهج المتكلمين . دراسة وتقويم**. مجلة إسلامية المعرفة . المعهد العالمي للفكر الإسلامي. السنة الثانية. العدد ٨، ذو الحجة ١٤١٧هـ . أبريل ١٩٩٧م. ص٨٥.

٣٨ . النجار. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص١٠٧.

٣٩ . الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج١٠/ص١٥٩.

٤٠ . الكرامية: نسبة إلى مؤسسها أبي عبد الله محمد بن كرّام السجستاني، ورد نيسابور في زمان ولاية محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر. تبعه على مذهبه شرذمة من أكرة القرى والدّهم، من أهل سواد نيسابور، واستمر المذهب من منتصف القرن الثالث الهجري في خراسان إلى أوائل القرن الخامس الهجري على الأقل. وكان لهم مشايخ يتولون رسالة المذهب، ومن آرائهم أن أسماء الله عز وجل كلها أعراض فيه، وكذلك اسم كل مسمّى عرض فيه... وزعموا أن الله تعالى عرض حال في جسم قديم، والرحمن عرض آخر... انظر. البغدادي. **الفرق بين الفرق**. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط٥، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢م. ص٢٢٤، عبد الرحمن بدوي. **مذاهب الإسلاميين**. ط٣، بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٨٣م،ص٦٦٠.

٤١. حاجي. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٢م، مج١/ص١١٩، البغدادي. إسماعيل باشا. **هدية العارفين**. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٢م، مج٦/ص١٧، ابن قطلوبغا، أبو العدل زين الدين. **تاج التراجم**. تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٢م، ص٢٨٢، كحالة. **معجم المؤلفين**. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.ج٣/ص٧٧٨.

٤٢. انظر: **كتاب التوحيد**. راجعه وعلّق عليه محمد خليل الهراس. بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. ١٩٨٨م.

٤٣ . السبكي، تاج الدين. **طبقات الشافعية الكبرى**. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م، ج٢/ص٨٤.

٤٤ . انظر: **كتاب التوحيد**. ص ٣ . ٤.

٤٥ . لذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج١٥/ص٢٥٥، الداودي، شمس الدين. **طبقات المفسرين**. تحقيق علي محمد عمر، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٢م ج١/ص٢٣٠، أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. ط٥، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت)، ج١/ص٢٦٧.

٤٦. القول بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وأنه مخلوق لم يكن ثم كان، هو قول المعتزلة، والخوارج، وأكثر الزيدية، والمرجئة، وكثير من الرافضة، فضلاً عن أقوال أخرى. انظرها عند أبي الحسن الأشعري. **مقالات الإسلاميين**. ط٢، بيروت: دار الحداثة. ١٩٨٥م. ج٢/ص٢٣١ وما بعدها، وراجع ج١/ ص٢٤٥ وما بعدها. أما أهل السنة فذهبوا إلى أن كلام الله قديم؛ لأن ما يقوم بالنفس يسمَّى كلاما قبل أن يلفظ، كما قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالقرآن قبل لفظه قائم في ذات الله، والله قديم، فكلامه قديم.

٤٧ . المدرس، محمد محروس. **مشايخ بلخ من الحنفية، وما اتفردوا به من المسائل الفقهية**. بغداد: منشورات وزارة الأوقاف، ج١/ص١٢٦. لاشك أن من يقوم بهذا العمل هم العوام المتعصّبة؛ لأن زيادة هذه الشهادة لا يُعاقَب صاحبها بالقتل، وهذا ليس من الإسلام في شيء.

٤٨ . ياقوت.أبو عبد الله. **معجم الأدباء**. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م، ج١ / ص٣٥٤.

٤٩ ميتز، آدم. **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**. تعريب: محمد الهادي أبو ريدة، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت)، ج١ / ص٣٧٦.

٥٠ . أبو حيان التوحيدي. **الإمتاع والمؤانسة**. صحّحه وضبط غريبه، أحمد أمين، وأحمد الزين. بيروت: دار مكتبة الحياة. (د.ت). ج١/ص٢١٢.

٥١ . أحمد أمين. **ظهر الإسلام**، مرجع سابق. ج١/ص ٢٦٦ . ٢٦٧.

٥٢. **القرامطة:** نسبة إلى رجل إسمه حمدان بن الأشعث، ولقبه قرمط. قدم من خوزستان إلى الكوفة، وأظهر الزهد والورع، ثم زعم أنه يدعو إلى إمام من أهل البيت. اجتمع حوله طوائف من الناس. كانت حركته خطوة من خطوات الإسماعيلية الباطنية، وقد عاث في الأرض فسادًا وأنكر القيامة والجنة والنار، وأباح لأتباعه الأموال والفروج، والاستغناء عن الصوم والصلاة والفرائض، وأن ذلك كله موضوع عنهم، وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم. فجرّأ أتباعه على القتل والسلب والفجور، فاستحلّوا أعراض الناس بالسيف وسفك دمائهم وأخذ أموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك، وكانوا يعتلّون في ذلك بقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٥]، كما اعتلّوا في سبي النساء وقتل الأطفال بقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا** ﴾[نوح: ٢٦].كان ابتداء ثورة القرامطة من عام (٢٨٧هـ)، ووفاة حمدان قرمط عام (٢٩٣هـ). وقاموا بثورة كبرى عام (٣١٦هـ)، وتوالت حروبهم بعد ذلك. انظر: عبد المنعم الحفني. **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**. ط١، القاهرة: دار الرشاد، ١٩٩٣م. ص٣١٨ . ٣٢٣، صابر طعيمة. **العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها**. ط١، بيروت: المكتبة الثقافية، ١٩٨٦م. ص٢٠١– ٢٣٧، سليمان بن عبد الله السلومي. **القرامطة وآراؤهم الاعتقادية**. رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، إشراف الشيخ محمد الغزالي، جامعة أم القرى. ١٤٠٠هـ. ج١/ص١٣٥ . ١٥٧.

٥٣ . الثنوية: هم القائلون، بإلهين: النور: وعنه يصدر الخير، والظلمة: وعنها يصدر الشر. ومن امتزاج النور بالظلمة يتكون أصل العالم؛ وذلك لاستحالة صدور الشر من الحكيم.

٥٤ . ابن النديم. **الفهرست**. ص١٧٠.

٥٥ . ياقوت. **معجم الأدباء**. ج١/ص٣٨١. عن تخريج الحديث: انظر: **السلسلة الضعيفة للألباني**، ج١/ص٥٨.

٥٦ . ليست هذه الثغرات مما يقدح في صحة الاعتقاد عند الأشاعرة، بل هي جاءت لتمسّكهم الشديد بمفهوم القدرة الإلهية المطلقة، وعدم جواز الوجوب على الله، كقولهم:

بجواز انتفاء الحكمة عن أفعاله تعالى، والقول بجواز تكليف ما لا يطاق، أو جواز تعذيب المطيع وإثابة العاصي... وغيرها. انظر: الأشعري. **مقالات الإسلاميين**. ص٢٥٨ وما بعدها.

٥٧ . ماتريد: نسبة إلى محلة بسمرقند.

٥٨. الكفوي. **أعلام الأخبار**. ص١٣٠. نقلا عن: علي عبد الفتاح المغربي. **إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية**. ط١، القاهرة: مطبعة الدعوة الإسلامية. ١٩٨٥م. ص١٢.

٥٩. علي عبد الفتاح المغربي. **إمام أهل السنة والجماعة**...مرجع سابق، ص٢٢، محمد أبو زهرة. **تاريخ المذاهب الإسلامية**. القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت)، ص١٧٧.

٦٠ . عبد الباري محمد الطاهر. **خراسان وما وراء النهر بلاد أضاءت العالم بالإسلام**. ط١، (د.م)، ١٩٩٤م، ص٢٨٥ . ٢٨٦.

٦١ . الماتريدي. **كتاب التوحيد**، تحقيق فتح الله خليف. بيروت: ١٩٧٠م. ص٦٩، تفسير الماتريدي المسمى: **تأويلات أهل السنة**، تحقيق إبراهيم عوضين، والسيد عوضين. القاهرة: ١٩٧١م. ص١٨٣.

٦٢ . السمنية: هم فرقة من الدهريين ينسبون إلى (سومنات)، وهو صنم قدّسه أهل الهند، وقد أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين بعد غزوه الهند. ونبيّهم يدعى بوداسف، وهم ينكرون وجود الله. كما عُرفوا أنهم أسخى أهل الأرض والأديان، وذلك أن نبيّهم أعلمهم أن أعظم الأمور التي لا تحل ولا يسع الإنسان أن يعتقدها ولا يفعلها قول: لا، في الأمور كلها، فهم على ذلك قولاً وفعلاً، وقول لا عندهم من فعل الشيطان، ومذهبهم دفْع الشيطان.

ابن النديم. **الفهرست**. ص٤١٩، محمد صالح محمد السيد. **أصالة علم الكلام**. مرجع سابق، ص١٦٤.

٦٣ . ت. ج. دي بور. **تاريخ الفلسفة في الإسلام**. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط٥، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م. ص٧٣.

٦٤ . المانوية : هي من العقائد الفارسية القديمة التي تقوم على اعتقاد أن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر الظلمة..

٦٥ . ابن ديصان: وإليه تنسب الديصانية، وهم أيضا ثنوية يثبتون أصلين هما: النور والظلمة فالنور: يفعل الخير قصدا واختيارا. والظلام: يفعل الشر طبعا واضطرارا.

٦٦ . المرقيونية: أصحاب مرقيون، وهم طائفة تتستر بالنصرانية. زعمت أن الأصلين القديمين: النور والظلمة، وأن هناك كونًا ثالثًا مزجها وخالطها. واختلفوا فيه ما هو؟ الحياة أم عيسى، إلا أنهم أجمعوا على أن العالم محدث... ولهم كتاب يختصون به، ويكتبون به ديانتهم، ولمرقيون كتاب إنجيل سماه، ولأصحابه عدة كتب غير موجودة إلا حيث يعلم الله، وهم بخراسان كثير. وأمرهم بها ظاهر. انظر: ابن النديم. **الفهرست**. ص ٤١٢.

٦٧ . علي عبد الفتاح المغربي. **إمام أهل السنة والجماعة...** مرجع سابق. ص١٦ . ١٧.

٦٨ . **إمام أهل السنة والجماعة، أبو منصور الماتريدي...** مرجع سابق. ص٣١ . ٣٣.

٦٩ . إلا أن الشيخ أبا زهرة يقرر أن منهاج الماتريدية، للعقل سلطانٌ كبير فيه، من غير أي شطط أو إسراف. ويعتبر أن الأشاعرة في خط بين الاعتزال وأهل الفقه والحديث، والماتريدية بين المعتزلة والأشاعرة. فإذا كان الميدان الذي تسير فيه الفرق الإسلامية الأربع والتي لا خلاف بين المسلمين في أنها جميعا من أهل الإيمان، ذا أقسام أربعة، فعلى طرف منه المعتزلة، وعلى الطرف الآخر أهل الحديث، وفي القسم الذي يلي المعتزلة الماتريدية، وفي الرابع الذي يلي المحدّثين الأشاعرة. أنظر :. **تاريخ المذاهب الإسلامية**. مرجع سابق. ص١٧٩ . ١٨٠.

٧٠ . حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج٢/ص١١٥٧ . ١٢٨٢.

٧١. العامري. **الإعلام بمناقب الإسلام**، تحقيق ودراسة أحمد عبد الحميد غراب. القاهرة: دار الكتاب العربي. ١٩٦٧م. ص١٢ . ١٤.

٧٢ . انظر: **كتاب الإعلام بمناقب الإسلام**. ص٢٣.

٧٣ . انظر: العامري. **الإعلام بمناقب الإسلام**. ص١٩ . ٢٠.

٧٤ أديل، وهبي. **الحركة العلمية في نيسابور من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري**. جامعة اليرموك، قسم التاريخ، ١٩٩٨م، (رسالة ماجستير)، ص١٨٧ . ١٨٨.

٧٥ . ابن الملقن. سراج الدين. **العقد المذهب في طبقات حملة المذهب**. تحقيق : أيمن نصر الأزهري – سيد مهني، ط١، بيروت : ١٩٩٧م، ص٦٩.ابن

قاضي شهبة، تقي الدين. **طبقات الشافعية**. تحقيق : الحافظ عبد العليم خان، ط١، بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٧هـ ج١/ص١٩٠. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق : إحسان عباس، ط١، بيروت : دار صادر ١٩٧١م، ج٤/ص٢٧٢.

٧٦ . كارل بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ترجمة السيد يعقوب بكر، مصر : الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م، القسم الثاني (٣، ٤) ص٢٣١.

٧٧ . آدم ميتز. **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق. ج١/ص٣٨١، العمادي. محمد حسن. **خراسان في العصر الغزنوي**. عمان: مؤسسة حمادة للخدمات، ١٩٩٧م، ص٣٠٥.

٧٨. هو أبو محمد، عبد الله سعيد بن محمد بن كلاّب (ت٢٤٠هـ). صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وإثبات الصفات للذات الإلهية، وخلق الأفعال... حتى لقد اعتبره الأشاعرة شيخًا لهم. محمد عمارة. **تيارات الفكر الإسلامي**. ط١، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٣م. ص١٦٨.

٧٩ . محمد عمارة. **تيارات الفكر الإسلامي**. مرجع سابق. ص١٦٨.

٨٠ . الذهبي، شمس الدين. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تحقيق : عمر عبد السلام التدمري، **ط٢**، بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م، ج٤٣/ص٢٢٣.

٨١ . أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. مرجع سابق، ج٤/ص٥٨.

٨٢ . الذهبي. **تاريخ الإسلام**. ج٣٦/ص٤٨٧. الداوودي، محمد بن علي. **طبقات المفسرين**. بيروت : دار الكتب العلمية (د، ت)، ج٢/ص٣١٤.

٨٣ . أنظر : أحمد أمين. **ظهر الاسلام**. مرجع سابق، ج٤/ص٥٣-٥٥.

٨٤. المرجع نفسه. ج٤/ص٥٦-٥٧.

٨٥ . انظر: محمد العابد الجابري. **تكوين العقل العربي**. ط٢، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٥م. ص٢٤١.

٨٦ . **المقدمة**. ص٤٤٨.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر :

ابن الأثير.عز الدين. **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

ابن الملقن. سراج الدين. **العقد المذهب في طبقات حملة المذهب**. تحقيق : أيمن نصر الأزهري – سيد مهني، ط١، بيروت : ١٩٩٧م.

ابن تيمية، تقي الدين. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**. تحقيق : محمد رشاد سالم، ط١، السعودية : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٦ م.

ابن حوقل. **صورة الأرض**. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت).

ابن خلدون، عبد الرحمن. **تاريخ ابن خلدون**. مراجعة : سهيل زكار، ط١، بيروت : دار الفكر ١٩٨١م

ابن خلدون. **المقدمة**. بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٢م

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق : إحسان عباس، ط١، بيروت : دار صادر ١٩٧١م.

ابن قاضي شهبة، تقي الدين. **طبقات الشافعية**. تحقيق : الحافظ عبد العليم خان، ط١، بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٧هـ.

ابن قطلوبغا، أبو العدل زين الدين. **تاج التراجم**. تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٢م.

الأشعري، أبو الحسن. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**. ط٣، ألمانيا : دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن، ١٩٨٠ م.

الأشعري، أبو الحسن. **مقالات الإسلاميين**. ط٢، بيروت: دار الحداثة. ١٩٨٥م.

الإصطخري،ابن اسحق إبراهيم. **مسالك الممالك**. بيروت: صادر، مصور عن نسخة ليدن: مطبعة بريل ١٩٢٧.

البغدادي. إسماعيل باشا. **هدية العارفين**. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٢م.

البغدادي. **الفرق بين الفرق**. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط٥، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٢م.

البنداري. **تاريخ دولة آل سلجوق**. ط٣، بيروت " دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م.

التوحيدي، أبو حيان. **الإمتاع والمؤانسة**. صحّحه وضبط غريبه، أحمد أمين، وأحمد الزين. بيروت: دار مكتبة الحياة. (د.ت).

الحموي. ياقوت. **معجم البلدان**. ط١، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م. الحموي، ياقوت. **معجم الأدباء**. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م.

الداودي، شمس الدين. **طبقات المفسرين**. تحقيق علي محمد عمر، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٢م.

الداوودي، محمد بن علي. **طبقات المفسرين**. بيروت : دار الكتب العلمية (د، ت).

الذهبي، شمس الدين. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تحقيق : عمر عبد السلام التدمري، **ط٢**، بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م

الذهبي، شمس الدين. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تحقيق : عمر عبد السلام التدمري، ط٢، بيروت : دار الكتاب العربي١٩٩٣م.

الذهبي، شمس الدين. **سير أعلام النبلاء**.ط٣، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

السبكي، تاج الدين. **طبقات الشافعية الكبرى**. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

السلمي، أبو بكر. **كتاب التوحيد**. راجعه وعلّق عليه محمد خليل الهراس. بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. ١٩٨٨م.

الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢، مصر : دار المعارف، ١٩٦٧م.

العتبي، أبي بنصر محمد. **تاريخ العتبي**. تحقيق : محفوظ أبي بكر بن معتومة، ط١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٤م.

القرشي، أبو الفداء إسماعيل. **طبقات الشافعيين**. تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٣م.

الماتريدي، أبو منصور.**تأويلات أهل السنة**، تحقيق إبراهيم عوضين، والسيد عوضين. القاهرة: ١٩٧١م.

الماتريدي. **كتاب التوحيد**، تحقيق فتح الله خليف. بيروت: ١٩٧٠م.

المنصوري، أبو الطيب نايف. **الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم**. ط١، الرياض : دار العاصمة للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

الهجراني الحضرمي، أبو محمد الطيب. **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**. عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، ط١، جدة : دار المنهاج، ٢٠٠٨م.

ثانياً: المراجع

- أحمد أمين. **ضحى الإسلام**. ط١٠، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت).
- أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. ط٥، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت).
- أحمد جوارنه. **جهود السلطان محمود الغزنوي في نشر الاسلام السني في أواسط آسيا وإيران، أفغانستان، الهند**. مجلة مؤتة للبحوث و الدراسات، مج ١١،ع٢، ١٩٩٦م.
- أديل، وهبي. **الحركة العلمية في نيسابور من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري**. جامعة اليرموك، قسم التاريخ، ١٩٩٨م، (رسالة ماجستير).
- إيهاب نبيل رفاعي. **الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الاسلامي**. ط١، القاهرة : دار الآفاق العربية، ٢٠١٢م.
- بارتولد (Barthold). **تركستان . من الفتح العربي إلى الغزو المغولي .** ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، ١٩٨١م.
- بارتولد، فاسيلي ديمير وفيتش. **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**. ترجمة أحمد السعيد سليمان. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م.

- ت. ج. دي بور. **تاريخ الفلسفة في الإسلام**. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط٥، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م.
- حاجي. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بيروت: دار الفكر، ١٩٨٢م.
- سليمان بن عبد الله السلومي. **القرامطة وآراؤهم الاعتقادية**. رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، إشراف الشيخ محمد الغزالي، جامعة أم القرى. ١٤٠٠هـ.
- شرين عبد الرحمن السماحي. **الحياة الثقافية في غزنة من منتصف القرن الرابع إلى منتصف القرن السادس** الهجري. ط١، القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٤م.
- صابر طعيمة. **العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها**. ط١، بيروت: المكتبة الثقافية، ١٩٨٦م.
- صالح محمد المالك. **دور الأمن الفكري في الحماية من الغزو الفكري**. صحيفة الجزيرة، السعودية، الرياض، ١٤٢٥هـ، العدد ١١٧٨١.
- العامري. **الإعلام بمناقب الإسلام**، تحقيق ودراسة أحمد عبد الحميد غراب. القاهرة: دار الكتاب العربي. ١٩٦٧م.
- عباس إقبال. **تاريخ المغول منذ حملة جنكيزخان حتى قيام الدولة التيمورية**. ترجمة عبد الوهاب علوب، أبوظبي : المجمع الثقافي، ٢٠٠٠م.
- عباس محمود العقاد. **التفكير فريضة إسلامية**. بيروت: منشورات المكتبة العصرية. (د.ت).

- عبد الباري محمد الطاهر. **خراسان وما وراء النهر بلاد أضاءت العالم بالإسلام**. ط١، (د.م)، ١٩٩٤م.
- عبد الرحمن بدوي. **مذاهب الإسلاميين**. ط٣، بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٨٣م.
- عبد المنعم الحفني. **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**. ط١، القاهرة: دار الرشاد، ١٩٩٣م.
- عرفان عبد الحميد فتاح. **منهج المتكلمين . دراسة وتقويم**. مجلة إسلامية المعرفة . المعهد العالمي للفكر الإسلامي. السنة الثانية. العدد ٨، ذو الحجة ١٤١٧هـ . أبريل ١٩٩٧م.
- عفاف صبرة، نجوى كيرة. **تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الاسلامي –دراسة سياسية حضارية**. ط١، القاهرة : مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٩م.
- علي عبد الفتاح المغربي. **إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية**. ط١، القاهرة: مطبعة الدعوة الإسلامية. ١٩٨٥م.
- العمادي. محمد حسن. **خراسان في العصر الغزنوي**. عمان: مؤسسة حمادة للخدمات، ١٩٩٧م.
- فتحي أبو سيف. **الدولة العباسية و المشرق الاسلامي**. ط١: القاهرة : دار الافاق العربية، ٢٠١٤م.
- كارل بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ترجمة السيد يعقوب بكر، مصر : الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣م، القسم الثاني (٣، ٤).
- كحالة. **معجم المؤلفين**. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
- كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٤م.

- محمد سعد السيد أحمد عزب. **الحياة الفكرية في إقليم خوارزم في العصرين السلجوقي و الخوارزمي.** ط١، القاهرة : شركة نوابغ الفكر، ٢٠٠٩م.
- محمد ابو زهرة. **تاريخ المذاهب الاسلامية،** القاهرة : دار الفكر العربي، (د، ت).
- محمد صالح السيد. **أصالة علم الكلام.** القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٧م.
- محمد عابد الجابري. **تكوين العقل العربي.** ط٢، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٥م.
- محمد عبد الحميد الرفاعي. **الخلافة العباسية و الحركات الاستقلالية بالمشرق.** ط١، القاهرة : دار الثقافة العربية، ١٩٩٧م.
- محمد عمارة. **الوسيط في المذاهب و المصطلحات الإسلامية.** القاهرة : نهضة مصر، ١٩٩٩م
- محمد عمارة. **تيارات الفكر الإسلامي.** ط١، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٣م.
- محمد محمد نصير. **الأمن والتنمية.** الرياض: شركة العبيكان، ١٤٣١هـ.
- محمود محمد خلف. **بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي (١٣٢-٢٦١هـ /٧٥٠-٨٧٢م)**، ط١، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م.
- المدرس، محمد محروس. **مشايخ بلخ من الحنفية، وما اتفردوا به من المسائل الفقهية.** بغداد: منشورات وزارة الأوقاف.

- ميتز، آدم. **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**. تعريب: محمد الهادي أبو ريدة، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت).
- نذير بن نبيل الشرايري. **الأمن الفكري في ضوء القرآن الكريم**. ط١، الرياض: مركز الدراسات والبحوث بكلية فهد الأمنية، ٢٠١٣م.